إلى طلبة العلم

بقلـــم

المشرف العام على موقع ياله من دين

www.denana.com

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فيعلم الله كم أحبكم يا طلاب العلم ، وكم في قلبي من الشعور بالشوق لكم ، ولأجل ذا كتبت بعض الخواطر والهمسات والقصص والتوجيهات التي أرى أن كل طالب علم بحاجة لها.

اسأل ربي أن يجمعني بكم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأن ينفع بكم دينه وعباده.

طالب العلم و مكتبته

الطالب والمكتبة.. كلمتان جميلتان، تزوجا فأنجبا العلم والمعرفة، وحصل منهما الانتفاع لأمدٍ طويل بفضل الله تعالى.
طالب العلم ومكتبته التي منها يقتبس العلم وبين رفوفها تسكن المراجع العلمية، وفي داخلها الميراث النبوي النير، هي عشيقته وهي محطُّ استراحته، ومأوى فؤاده.

وفيها أنسه وسروره، وإذا فرح الناس بالقنوات والاستراحات ومجالات الترفيه، فإن طالب العلم سروره إذا خلا بمكتبته وسعادته حينما يقلب الصفحات في بحث مسألة أو كتابة فائدة أو مطالعةٍ مفيدة.
وإذا كانت المكتبة للطالب بهذه المنزلة فلا بد أن يفقه الطالب كيف يتعامل معها وما هي سياسته في إدارة المكتبة.
ومن خلال تجربتي اليسيرة، أحببتُ كتابة بعض الهمسات حول ذلك، فأقول:

١. لا بد من كتابة قائمة بأسماء الكتب التي ستنزل في ضيافتك.
٢. جميلٌ أن تشاور شيخك الخبير بك وبمرحلته العلمية والذهنية.
٣. لا تستعجل في أن تضم كتاباً لمكتبتك إلا بعد أن:
- تعتقد مناسبته لك.
- جودته من ناحية المحتوى.
- الثقة بالمؤلف.
- الطبعة المحققة الجديدة.
٤. كن ذكياً في فقه الأولويات في شراء الكتب فكيف تشتري أمهات الكتب الكبار وأنت لا زلت في بداية الطلب، والأولى بك في هذا الوقت شراء ما يساهم في تأصيلك العلمي، ويقوي قواعد البناء العلمي لديك.

٥. يحسن بك أن تخصص ميزانية مالية للكتب في الشهر أو كل ستة أشهر أو في السنة .
٦. ينبغي أن تحرص على زيارة معارض الكتاب لمطالعة الجديد والاستفادة منه، والشراء منه بشرط: فقه الأولويات.
٧. يجب أن تهتم بالترتيب في تفصيل المكتبة من ناحية تصميم الدولاب ومناسبة الرفوف للكتب ولجدران الغرفة.

٨. احرص على جمال مكتبتك وحسن رائحتها وجودة التكييف فيها، فهي مسكنك ومقر إبداعك ومطالعتك.

٩. لاتكن مكتبتك موضعاً لتناول الوجبات وتغيير الملابس ، وكن محترماً لكتب العلماء .

١٠. احذر من عبث إخوتك الصغار أو أطفالك، وكن حريصاً على إغلاق المكتبة كلما خرجت منها.

١١. يجب العناية بترتيب الكتب وتنظيمها بشكل دقيق جداً، فمثلاً:

الدولاب رقم (١) للقرآن والتفسير وما يدخل فيه، وفيه أيضاً علوم القرآن، ورسائل الماجستير والدكتوراه المتخصصة فيه.

الدولاب (٢) لكتب الحديث ابتداء بالبخاري وشروحه ومختصراته والرسائل التي تعتني بالصحيح وهكذا.

١٢. اصنع فهرساً لمكتبك في جهازك الحاسوبي ولا تقل هذا صعب، وأوصيك أن تضع خطة ولو لسنة واحدة للانتهاء من ذلك وسيفيدك هذا كثيراً جداً.

١٣. لا تكن ممن يجمع الكتب هوايةً لا للانتفاع فهذه ليست سبيل طالب العلم.

١٤. لا تبال بنقد بعض أفراد أسرتك أو حتى والديك في جمع الكتب والاستفادة منها، وقد تسمع من يتهمك بإضاعة المال أو الوقت في الكتب ، ولاتواجه هذه التهم بالقوة بل تغافل وكن ذا مدارة متميزة لتكسب محبتهم.

١٥. إذا كنا ندعو للحرص على اقتناء الكتاب النافع فانتبه من صرف أكثر المال حتى لا تقع في الديون أو إهمال حقوق الأسرة أو ضروريات الحياة.

١٦. خصِّص الوقت المناسب لدخول المكتبة ولا تهمل الترتيب والتنظيم، ولا تهمل حقوق أسرتك، ويجب أن يعرفوا مواعيدك حتى لا يحصل خلاف معك بسبب الغيرة على الكتب، وخاصةً من الزوجة.

١٧. قد يستدعي الأمر أحياناً إلى ترك المكتبة لتمريض الأسرة أو الملاطفة، فلا تهمل ذلك ولا تكن حرفياً في النظام، بل كن سهلاً ليناً وخاصةً مع أسرتك.

١٨. احرص على الإنارة الجيدة لك في مكتبتك.

١٩. حتى لا تخرج كثيراً نوصي بوضع ثلاجة صغيرة للماء والعصيرات.

٢٠. إذا كنت من هواة الشاي والمشروبات الساخنة فلتكن لديك غلاَّية صغيرة مع أدوات الشاي.

٢١. احرص على إيجاد سلة للنفايات، وأخرى للأوراق المحترمة لتحرقها، أو ليكن لديك فرَّامة ورق.

٢٢. يحسنُ بك وضع معلاق ملابس خلف باب المكتبة، فقد تحتاجه.

٢٣. احرص على إيجاد شاحن لجوالك في المكتبة حتى لا تضطر للخروج منها.

٢٤. لا بد من وجود أقلام إضافية احتياطاً، واحرص على توفر الورق التي ستكتب فيه بحوثك ودباسة مع أدواتها.

٢٥. إذا كانت رفوف المكتبة طويلة فلا بد من إيجاد سُلَّم بالحجم المناسب لك.

٢٦. عند الانتهاء من الكتاب أعده لمكانه حتى لا تتجمع عندك، وتحدث لك فوضى على طاولتك.

٢٧. يحسُن بك أن تقتني حقيبة صغيرة الحجم وتضع فيها: أقلام، أوراق البحوث، دباسة، ملفات لتضم الأوراق، ولتكن هذه رفيقتك في سفرك أو في رحلاتك العلمية والدعوية.

٢٨. أقترحُ عليك وضع لوحة صغيرة لتكتب عليها أهدافك العلمية لهذه السنة؛ لأن كثرة رؤيتك لأهدافك ستقدح في نفسك الهِّمة لإنجازها، ومن جرَّب عرف.

٢٩. إذا كان لديك جهاد حاسوبي فلتضعه في مكان مناسب في مكتبتك حتى لا يزاحم طاولة البحث والكتابة لديك.

٣٠. اشتر طاولة للكتابة والبحث ولتكن جيدة ومريحة ولا تغفل عن الكرسي المريح الذي يساهم في راحتك، واحرص على الكرسي الطبي حفاظاً على ظهرك.

٣١. عند تفصيلك لمكتبتك انتبه لـ: جودة الخشب أو الألمنيوم، أو الحديد ، وانتبه للمقاسات بين رفوف الكتب طولاً وارتفاعاً وعمقاً، واستفد من كل مكان في غرفتك ليكون مناسباً في التفصيل، فقد تحتاج أن تضع دولاب تحت النافذة أو تحت التكييف بسبب ضيق الغرفة.

٣٢. احرص على توزيع الأفياش الكهربائية في الأمكنة المناسبة، ومنها: جوار جهاز الحاسب، مكان الإنارة التي على طاولة المكتب، الهاتف، الطابعة والفاكس، شاحن الجوال ، وكلما كنت دقيقاً ومنظماً كلما سُهل عليك الاستفادة من كل الأجهزة لديك، وبهذا تنجو من التوصيلات الكهربائية ذات التمديدات الطويلة.

٣٣. اقتن دولاب صغير متحرك له عدة خانات ويمكن إغلاقها لتضع فيه بحوثك، مقالاتك، فواتيرك ، وهو موجود في المكتبات الكبرى، ولقد استفدتُ منه كثيراً، وبإمكانك أن تضع على رأس كل خانة ملصق صغير بعنوان المواد التي توجد فيه.

٣٤. اكتب في وصيتك – بعد موتك– الجهة الخيرية التي تريد أن تكون مكتبتك وقفاً فيها ، و قد تكون مكتبتك موقوفة لطالب علم متمكن أو لجامعة أو معهد في إحدى الدول الإسلامية المحتاجة في الخارج.

٣٥. ضع ساعة حائط مناسبة في مكتبتك.

٣٦. أرى أن تعود أبناءك زيارة مكتبتك والتمرن على البحث والمطالعة والكتابة لينشأ لديهم محبة الكتاب والعلم.

٣٧. إذا كان لديك كتب متكررة أو فيها سقط وتريد الاستغناء عنها فانزل بها لمكاتب بيع الكتاب المستعمل لاستبدالها بأحسن منها أو بيعها .

٣٨. بعض الناس يجعل مكتبته في مجلسه مع الآخرين، أي: أنها في مقر استقبال الضيوف وفي هذا نشر لثقافة الكتاب وبيان الحرص على العلم، ولكن لا بد من الحذر من الفضولي.

٣٩. ليكن لديك ختم لمكتبتك لتختم كل كتاب لديك، وبذلك تتعرف على كتبك، ولا تختلط كتب الآخرين التي استعرتها بكتبك.

٤٠. يُستحسن بك أن تكوّن مكتبة من مطبوعات المواقع من مقالات وبحوث ونحو ذلك وتضعها في مجلدات مناسبة لها، وفي ذلك خير كثير.

٤١. ليكن لك مكان في مكتبتك لوضع السيديات النافعة والبرامج الحاسوبية المهمة .

ومع حرصك على الكتب لا تغفل عن أن العبرة بالعمل وملازمة التقوى في حال ، سددك الله ورفع قدرك .

طالب العلم والمشاريع العلمية

حينما تتأمل واقع بعض طلاب العلم تفرح بتلك الجهود والبرامج الخاصة به، فهو صاحب اطلاع وقراءة وجرد للمطولات وحفظ للمتون وعكوف في المكتبة بين تلك الكتب المليئة بالفوائد والدرر .

ولعله صاحب رحلات لتلك الدورات العلمية التي ينهل فيها من علم العلماء وأدبهم وسيرهم، أو لعله من أولئك الذين عانقوا الأقلام تأليفاً وبحثاً ودراسة، وكل ذلك وغيره من الأهداف الرائعة في حياة طالب العلم .

وأنا هنا أقدر تلك الجهود السابقة وأدعو لبذل المزيد فيها والسعي إلى الكمال في كل خير وبر، ومع ذلك فإني أهمس لطلاب العلم بهمسة أرجو أن تسكن في قلوبهم ، فأقول :

إن إدراك النفس إلى العناية بالمشاريع العلمية الكبرى من الأهداف المهمة في واقعنا العلمي؛ لأن الناظر في البرامج العلمية الخاصة بالطالب يجد أن فيها تنوعاً وتكاملاً نوعا ما – كل حسب رغبته وميوله وتخصصه – ولكن عندما نتأمل البرامج العلمية الكبرى التي تخدم الأمة أو مجموعات كبيرة من طلاب العلم في البلد الواحد فإننا قد نجدها قليلة، بل قد تكون معدومة في بعض البيئات الإسلامية .

ولأجل الإيضاح أقول: هناك عدة مشاريع كبرى يصل نفعها إلى جمهور كبير من الناس من عشاق العلم والمعرفة وتخدمهم في الجانب العلمي والشرعي في حياتهم، وهذه المشاريع قد غفل عنها كثير من طلاب العلم بل وبعض العلماء الكبار بسبب الأشغال والمهام التي نزلت بهم، أو لعله قصور في إدراك بعض هذه المعالم .

وسأطرح هنا بعض المشاريع التي أراها مهمة من وجهة نظري :

- مجموعة مؤلفات في " العقيدة – الفقه – التفسير " أين طلاب العلم عن مثل هذا المشروع ؟ ألا يمكن لعشرة من الطلاب المتميزين أن يقرروا البدء بتأليف سلسة في الفقه الميسر – مثلاً – ؟ أو في تقريب العقيدة لعامة الناس عبر وسيلة " سؤال وجواب " مثلاً ؟

- إنشاء مكتبات علمية في بعض الجوامع الكبار أو المراكز الإسلامية أو السجون في بلاد العالم كله أو بلد واحد كأمريكا أو كندا مثلاً .

- زيارة بعض القرى الصغيرة بهدف إقامة دورات علمية لها منهج البقاء والاستمرار .

- تأسيس مراكز لترجمة الكتب والرسائل العلمية إلى عدة لغات .
- تأسيس مطابع وقفية لطباعة الرسائل والكتب والمطويات بكافة اللغات .
- فتح برامج علمية متخصصة في البناء العلمي في القنوات والإذاعات .
- إنشاء مجلات علمية تخرج في مواسم معينة تعتني بالعلم ومتعلقاته .
- تأسيس لجنة علمية في المكاتب الدعوية والمراكز الإسلامية لتعتني بالجوانب العلمية لهذا المركز .
- إنشاء مواقع تعليمية عبر الإنترنت بطريقة احترافية وجديدة تهتم بالجانب التعليمي للناس .
- العناية بالنساء وفتح مراكز أو معاهد تعليمية لهم ذات مناهج وخطط واضحة المعالم .
- فتح مراكز ودورات لتعليم الكبار والمتقاعدين .
- بناء مركز علمي في البلد يسعى لتحقيق عدة أهداف علمية كبيرة .
- إنشاء جامعات في البلاد الإسلامية التي ينتشر فيها الجهل بكثرة .
- فتح برامج تدريبية لطلاب العلم في تنمية الفكر وتطوير الذات وتوسيع دائرة العقل في إدراك هموم الأمة وحاجة الناس للمشاريع العلمية والمؤسسية .
- من المؤكد أن كل تلك الأفكار تفتقر إلى عناصر قوة وتأثير وتفعيل وتخطيط ، ويجب أن تكون هناك لجان ومؤسسات علمية لتبني تلك الأفكار وغيرها مما يدور في فكر كل جاد وحريص .

طالب العلم وطلب الرئاسة

عندما تصفحت كتب السلف رأيت أن كره الشهرة والبعد عن التصدر هو الغالب على الآثار عنهم قولاً وعملاً، وهذا المفهوم يحتاج إلى ضبط لحدوده وحروفه.

لا شك أن من المصالح العامة نفع الناس وتعليمهم وإفتائهم، وهذا المقصد الجليل تواترت بالحث عليه النصوص من الكتاب والسنة، ولا بد من القيام به، ولن يتحقق ذلك إذا طبقنا كراهية الشهرة والاختفاء عن الناس والزهد في الرئاسة.

ولعل قصد السلف هو " الحب القلبي للشهرة والسعي لذلك " وأما إذا جاءت الشهرة تبعاً لا قصداً فلا أرى في ذلك أي حرج.

وتأمل هذه النصوص:

- يوسف عليه السلام يطلب الرئاسة ويزكي نفسه ((اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))[يوسف:٥٥] ولو تركها لأخذها من ليس بأهل أو ضعيف الديانة.

- عثمان بن أبي العاص يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: " اجعلني إمام قومي " فانظر كيف طلب الإمامة و لم يزهد فيها.

- حاجة الأمة إلى تولية المناصب المهمة شرعية أو دنيوية ، أما الشرعية كالقضاء والإمامة والدعوة ، وأما الدنيوية: كإدارة المراكز والمؤسسات والشركات ونحو ذلك ، فلو أن الغالب على أهل الخير الزهد في هذه المناصب لتولاها من يفسد في الأرض ويسعى في خرابها.

إشارة:

إذا كان طلب الشهرة مذموم أصلاً فلا بد أن نجدد النية ونطلبها بقصد نفع الأمة وحماية المجتمع وإصلاح الفساد.

وإذا قال لك الشيطان: إنك منافق. فقل له: ربي يعلم أني ((إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ))[هود:٨٨].

الشيخ بين التدريس والتصنيف

رأيتُ كثيرًا من أهل العلم ممن أمضى كثيرًا من وقته في العلم والتعليم قد أغفلوا جانبًا مهمًا ألا وهو " التصنيف ".

ويحتج هؤلاء بأن الدروس والتحضير لها تأخذ وقتاً فضلاً عن الارتباطات الأسرية والوظيفية الأخرى.

وقد أوافقهم على وجود مثل هذه الأعذار، ولكني أقول: لابد من مجاوزة ذلك، والانطلاق لمشروع التصنيف، ولو على تدرّج وتمهّل؛ لأن الدروس الصوتية والكلمات والمحاضرات تذهب سريعًا من عالم الوجود، ولكن الكتاب يبقى أثره لفترة طويلة.

وتلك الأشرطة لا يتسنى الانتفاع بها إلا عبر وسائل مساعدة كالكهرباء أو المسجل ذا البطاريات، ولابد من مراعاة عدم إزعاج الآخرين بالصوت، وإن كنت في السيارة فقد تذهب بك الأفكار عن الاستماع إلى مراعاة السير والانتباه لحركة مرور الناس بسياراتهم.. إلى غير ذلك من منغصات الاستماع.

أما الكتاب فيقرأ في أي مكان، ولا يسبب إزعاجًا ويمكنك الاستفادة منه في مكتبك، وفي أوقات الانتظار وفي الطائرة.

والكتاب المعدّ إعدادًا جيدًا يساهم في إثراء المكتبة الإسلامية.

فيا أيها الشيخ الكريم: يجب أن تولي التصنيف عناية ورعاية.. وهذه بعض المقترحات:

١- إذا كانت لك دروس مستمرة أو زيارات دعوية أو لقاءات في القنوات؛ فاجعل من أيامك أياماً للتصنيف.

٢- إذا كانت دروسك فيها الإعداد الجيد؛ فألزم طلابك بالتسجيل، ثم بالتفريغ، ثم بعد ذلك تراجعها أنت.. وبهذه الطريقة تختصر كثيرًا من الوقت، وإن كان بعض المراجعة فيه نوع مشقة.

٣- إن كنت تثق ببعض طلابك الذين يعرفون منهجك، ولهم فترة طويلة معك؛ فبالإمكان تفويضه في إخراج كتبك بدون أن تراجعها، كما هو منهج بعض العلماء الكبار.

٤- اعلم أيها الشيخ الفاضل أنك ستواجه طلبات عديدة من الناس؛ فهذا يريد كلمة، وآخر يريد لقاءً، وثالث يريد زيارة في مدينة أخرى.. فوصيتي لك: لا يأخذك الحب للنفع المتعدي إلى إهمال " التصنيف ".

ومضة : لو أن العلماء السابقين أهملوا التصنيف واشتغلوا بالدروس المباشرة لطلابهم ، فمن أين لنا بهذا التراث الكبير ؟

طالب العلم بين الأخذ والعطاء

إن من أجمل الصفات لدى طالب العلم " التوازن بين الأخذ والعطاء " .

والمراد: أن يتصف بصفة التلقي للعلم والاجتهاد فيه، وصفة نفع الناس وتعليمهم للعلم.

والناظر في بعض طلاب العلم يرى أن منهم طائفة عشقت العلم وأدمنت المطالعة والمراجعة، والمذاكرة والرحلة وهذا مما يمدح به الطالب، ولكن منهم من اعتزل الناس وأعرض عن نفعهم وتعليمهم، سواء بحجة الفتن أو التواضع أو عدم الشهرة أو بغيرها من " الحيل النفسية " المخالفة لنصوص الكتاب والسنة.

ومن طلاب العلم من نزل للناس وبدأ بالتعليم والتوجيه فأقام الدروس والحلقات العلمية، وملأ وقته بنفع الآخرين ولكنه غفل عن نفسه، وأنه بحاجة إلى وقت كاف للتعلم والازدياد من العلم والبحث والمطالعة.

فإذا بك تراه بعد زمن يسير قد نسي كثيراً من العلم وأصبح يتحدث بالظن، ويكثر من عبارات " أظن، أتوقع، أذكر، ربما، تحتاج بحث " .

وهذه العبارات دليل عدم الرسوخ والثبات في العلم، ويترتب عليه: ضعف العلم وقلة التأصيل، وندرة الاستدلال وغياب الاستنباط.

والواجب: التوازن بين التعلم والتعليم، ووضع خطط مناسبة تهدف إلى تربية الطالب تربية متوازنة لكي يستفيد ويفيد، ويسير على نهج واضح، ويصعد في مدارج العلم والتعليم وهذه من مهام العلماء ومن كان في منصب التوجيه.

وختاماً: لا بد أن نفقه المراحل التي يسير عليها طالب العلم ونتحفه بالإشارات على هذا الطريق ليسير على أحسن طريق والتوفيق بيد الله العلي الكبير.

في واقعنا تعصب للأشياخ

لكَ أن تنظر في واقع عامة الناس، أو لعلك تخالط بعض طلاب العلم، أو لعلك تجلس مع زمرة من عشاق الدعوة، فإذا بك تقف على مرضٍ دخل وملأ البعض ممن تعلقوا بالأشياخ تعلقاً مذموماً ومنحوهم حباً لا على المنهج بل على مقياس " الهوى" فهوى بهم نحو الذل، وتأتي الأحداث والوقائع لتظهر لك " أمارات التعصب" و" ثماره" فمنها:

- تقليدهم في أمورهم وآرائهم بلا نص معتمد أو فهم مقتبس من نصوص الوحيين، وهذا التقليد قد يكون محموداً عند العامة لأنه لا قدرة لهم على البحث ، ولكنه مذموم عند من يدرك النص وله فسحة ولو يسيرة في الفهم، فهذا ماله وللتقليد ؟ بل يجب أن يتعلم أمور دينه ليعبد الله بما شرع لا بما انتشر عن الأشياخ.
- وهذا المتعصب له ميلٌ في الغلو في الشيخ والرمز، ويدل لذلك أنه لو وقع شيخه في خطأ ولو عن اجتهاد، وقام أحد الغيورين بالرد عليه أو حتى الحوار معه، لعاتبك ذاك المتعصب قائلاً: ومن أنت حتى ترد على الشيخ ؟
- المتعصب يقبل رأي شيخه ولو خالف الدليل بل الصواب ما قاله الشيخ، والنص له التأويل.
- المتعصب يقدِّم قول شيخه؛ لأنه يحبه لا لأن الدليل والحجة معه.

- المتعصب يرفض أي نقدٍ لشيخه، ولسان المقال: كل من نقد شيخي فهو جاهل.
- المتعصب لا يقرأ إلا لشيخه ولا يسمع إلا له، ولا ينشر إلا فتاويه ولا يزور إلا موقعه.
- المتعصب إذا سمع أن أحداً رد قول شيخه غضب وحسبل وحوقل وكأن المصيبة ستنزل بساحة ذاك المخالف ورماه عن قوس واحدة " أين احترام العلماء" ؟ و" نحن في آخر الزمان" و" من جهل شيئاً عاداه" وردد " يا حسرة على العباد".

- المتعصب لا يمدح أيَّ صواب عند غير شيخه، بل كل صواب عند غير شيخه فإن شيخه قد قال به بالنص أو بالظن أو في الغالب.
- المتعصب لو مات شيخه فإن الأمة ستضيع والدين في انحدار، والعلم زال، والفقه قد دُفن، والساعة قد اقتربت، والدجال سيخرج، والمهدي لعله قريب.
- المتعصب فقد التوازن، وخسر العدل، وغاب عنه الإنصاف، وابتعد عن بابه القسط وسيسقط قرُب الزمان أو بعُد.

- المتعصب يوالي من والى شيخه، ومَن خالف شيخه فله " البغض في الله" على حدِّ زعمه.

- المتعصب امتلأ قلبه بالتعظيم للشيخ لا للمنهج، ولهذا لو سقط الشيخ في زلة أو في تبديل في المنهج فإن صاحبنا سيهوي وراءه، لأنه متعلق بالرمز لا بالمنهج.

- ذاك المتعصب يمدح شيخه ومنهجه في المجالس ومع كل جالس، وكأنه المتحدث الرسمي عنه، أو كأنه يتقاضى راتباً من رمزه ليرفع ذكره في المجالس، فما أسوأ الحب إذا غلا، وهكذا يصنع الهوى إذا علا ، والقاعدة: ومن علا على هواه عقله فقد نجا.

- ويتعصب صاحبنا حتى أصبح شيخه المرجع في التشريع، ولهذا تجده يقبل قوله ورأيه حتى في مجال التعبد والمعتقد، مع أن النص قد لا يرتضيه أحياناً .

- ولا يزال المتعصب في جهل دائم، إذ أنه ألغى عقله، وارتدى قلادة الولاء للرمز.

إشراقه: فلان حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه.

الانتقاء في العلم

إن العلم كثير وهو بحر لا ساحل له، والطالب الذكي هو الذي يحرص على الأنفع والأهم من مسائل العلم وفنونه.

وعند التأمل في حياة بعض طلاب العلم تجد أن هناك فوضى في الانتقاء ونتج من ذلك " وجود المثقف في العلم " وغاب صاحب العلم المتقن والمحرر للمسائل الضابط لكلام أهل العلم.

- إن الانتقاء في العلم يشمل:

١- انتقاء الشيخ المتميز بعلمه وعمله وطريقة تدريسه، ومناسبته لمستواك العلمي.

٢- انتقاء الكتاب الذي تقرأه ومدى الاستفادة التي ستجنيها من خلاله.

٣- انتقاء الدورة العلمية التي تحضرها، فليس كل دورة تناسبك، وقد تحضر بعض دروس الدورة لا كلها.

٤- انتقاء الشريط الذي تستمع له والحرص على ما يفيدك ويزيدك علماً وبصيرة.

٥- انتقاء البحث العلمي الذي تحصل من خلاله على الفوائد والفرائد.

والحديث عن الانتقاء يطول وفروعه كثيرة وطالب العلم الذكي يدرك أكثر مما أشرت إليه، والتوفيق بيد الله تعالى.

كيف تكتب الفوائد العلمية

في مسيرتك العلمية وأثناء ممارستك للقراءة فإنه لا بد أن تمر بك بعض الفوائد والفرائد العلمية التي هي كنوز ودرر لمن يقدر الأمور قدرها، ولكن الملاحظ أن هناك زهد منقطع النظير عن تدوين الفوائد، ويرجع هذا إلى :

- عدم المعرفة بالطرق الجيدة في التدوين.
- عدم التدريب على فن انتقاء واقتناص الفوائد.
- عدم طرح الموضوع والحديث عنه حتى على مستوى كبار أهل العلم والمتخصصين.
- عدم تربية طلاب العلم على هذا الفن، وهذا ناتج من خلل عند المشرفين والمربين عندهم.
- ضعف الهمة.
- عدم القناعة بضرورة كتابة الفوائد.

وهنا سأضع لك بعض التجارب في كيفية الكتابة والانتقاء والتدوين:

- قبل قراءتك لكتابك المقصود لا بد من تحديد مشاريع تريدها من خلال تدوينك الفوائد ، مثال: تريد القراءة في كتاب " الجواب الكافي " فهنا لا بد من استعراض الكتاب كاملاً بنظرة سريعة ليكون بعدها تحديد المشاريع ويمكن أن تكون المشاريع من " الجواب الكافي " ما يلي :
- ذكر آداب الدعاء باختصار .
- ذكر القصص المعبرة.
- ذكر عواقب الذنوب إجمالاً.
- تدوين الكلمات ذات الدلالة القوية من الكتاب بشرط أن تكون نحو سطر أو أقل.
- خطر العشق من خلال القصص الواردة.

* لا بد أن أنبه أن كتابة الفوائد يمكن أن تكون مباشرة عند قراءة الفائدة ويمكن أن تؤخرها حتى تنتهي من الكتاب كاملاً ثم تعود إلى عناوين الفوائد التي تريد كتابتها.

- هناك فرق بين تدوين الفوائد وبين اختصار الكتاب والكلام هنا عن تدوين الفوائد.
- بعض طلاب العلم يكتب الفوائد على غلاف الكتاب ويكتفي بذلك، وفي نظري أن هذا لا يكفي، بل لا بد بعد ذلك من نقلها لدفتر خاص.

- وبعد نقلها لدفتر خاص تبدأ في فرزها " العقدية – الفقهية – الحديثية – اللغوية – الأدبية – القصص.. " ويكون هذا الدفتر كبيراً وتكون الصفحات مناسبة للتقسيم حتى تضم الفوائد على مدار سنة كاملة في هذا الدفتر وحسب العنوان المناسب لها.

وكلما انتهيت من كتاب تبدأ بجمع الفوائد الموجودة فيه في الدفتر المخصص لها، وإذا كان هناك تشابه في الفوائد فإنك تضم النضير إلى النضير، مثال: من فوائد قراءتك في فتح المجيد " بيان شروط الرقية الشرعية " ص: ١٧٧ .

ولما قرأت كتاب " فتاوى ابن باز " وجدت الفوائد نفسها، فهنا تكتب بجانب (ص ١٧٧) وانظر فتاوى ابن باز (١/ ١٤٥) وهكذا تجمع كل فائدة بجانب الأخرى حتى يأتي الوقت الذي تجد في بعض الفوائد (١٠) مراجع أخرى، وهذا يفيدك في البحوث القادمة.

مثال آخر: لو عندك بحث عن الرقية فحينها تجد في عناصر البحث " شروط الرقية " وإذا بدأت في الكتابة فسوف تراجع دفتر الفوائد حول هذا نحو (٨) مراجع أو أكثر، وفائدة ذلك: تقوية مادة البحث، ثقة القارئ بجودة البحث، معرفة كاتب البحث بأنه صاحب اطلاع واسع حيث أجاد البحث وأفاد في زيادة مراجع كل مسألة.

* مشروع آخر: قراءة كتاب " زاد المعاد " فإن الفوائد منه تكون كالتالي:

- الإجماع الذي نقله ابن القيم.
- الفوائد الفقهية باختصار .
- الأبيات النافعة.
- الأحاديث التي ضعفها ابن القيم.
- الفوائد اللغوية.
- الفوائد العقدية.
- الفوائد التربوية الإيمانية.

وقد تستغرق القراءة والتدوين نحو ثلاثة أشهر ولكنك ستخرج لنا كنوزاً عظيمة.

* قد تطرأ عليك فوائد أخرى أثناء قراءة الكتاب فهنا يجب أن لا تهملها بل سارع في تنفيذها وترتيبها واختيار العنوان العام التي تندرج تحته.

أقترح بأن تسارع في طباعة الفوائد التي في دفترك الخاص وذلك لتكون عندك في جهاز الكمبيوتر ولكي يسهل عليك التعديل والإضافة كلما جدّ لك أمر أو وردت إليك فائدة.

والطباعة إما أن تتولاها بنفسك أو تستخدم أحد العمال في المكتبات المتخصصة في ذلك، وقد يكون الثمن باهظاً نوعاً ما، ولكن هكذا العلم لا بد فيه من البذل والتضحية.

- قد تجد من يقلل في العناية بتدوين الفوائد أو لا يهتم بترتيبها نظراً لتزاحم الأعمال لديه، فهنا يجب أن لا تلتفت إليه وتميّز أنت بدقة التنظيم والترتيب وستجد أن ذلك الرجل يتمنى لو كان لديه من الوقت ما يكفي ليسير على حذو مسيرتك في الكتابة وجودة الترتيب.

- لا بد من تنويع المواد المقروءة لتتنوع الفوائد المستنبطة وليكون لديك اطلاع واسع في سائر العلوم، وهذا له أثره الواضح في الملكة العلمية وقوة التأصيل والإبداع العلمي.

- مراجعة الفوائد بين حين وآخر مطلب مهم لتثبت المعلومات ولتعرف مراجع الفوائد لتقوى على العزو الصحيح للقائل أو للكتاب أو للمسألة ، ونحن في زمن ندر فيه من يعزو بثقة لضعف التدوين أو ضعف الذاكرة.

* أوصي كل من لديه دروس في المساجد أو عنده طلاب يتتلمذون على يديه أن يعتني بتدريبهم على كتابة الفوائد ويختبرهم في الإبداع في التدوين وسيكون لذلك أثر كبير في النضج العلمي، ومن جرب عرف.

نشر علم العلماء

خطابي لذلك الذي لازم العلماء برهة من الزمن في أحلى أيام العمر، تلك اللحظات التي كانت بحق زبدة العمر في مجالسة العلماء والاقتباس من علمهم والاستماع منهم وتقييد الفوائد التي خرجت من أفواههم.

يا من لازم العلماء وكتب عنهم الفرائد والدرر، يا ترى هل فكرت في جمع تلك الفوائد وضم النظير إلى النظير لكي تخرجها للناس عبر مؤلف ينتفع منه القاصي والداني، أو رفعته لبعض المواقع الإسلامية ليستفيد منه زوار الموقع؟.

يا طالب العلم ، إن خدمة العلماء الذين لازمتهم وكتبت عنهم شرف لك وواجب في نفس الوقت، وإن حاجة العلماء لك تتلخص في علو الأدب في المجالسة وحسن النشر لفوائد تلك المجالسة.

والله إن الحزن ليحيط بي عندما أرى مئات الطلاب الذين لازموا ذلك العالم ولكن لم يعتن بإخراج علمه إلا أفراد قد لا يتجاوزون العشرة أحياناً ، فأين البر بالعلماء ؟ وأين النشر لتلك الفوائد؟ هل نزل الكسل بساحة أولئك الطلاب ؟ أم أن هموم الدنيا ملأت الفؤاد فمنعته من التفكير في ذلك؟.

إني لا أجد لك عذراً في عدم النشر؛ لأن الوسائل ممكنة، والوقت فيه متسع، فأرجو أن تأخذ قلمك وتخرج علم شيخك الذي نفعك بعلمه وأدبه.

طالب العلم بين النت والكتاب

مع انتشار المواقع والمنتديات لاحظت على بعض طلاب العلم الزهد في الكتاب اقتناء أو اطلاعاً وتقييداً للفوائـــد، ولا شك أن هذا مخالف لأسس العلم؛ لأن طالب العلم لا بد أن تكون علاقته بالكتاب متينة.

وهذا أمر مستفيض من حياة السلف والأخبار عنهم في هذا معلومة مشهورة.

وهناك فريق آخر ضد هذا، وهو عاشق الكتاب الذي لا يعرف الانترنت ولا يعرف كيف يستفيد منه، بل قد ينكـــر عليك استفادتك من النت ويشكك في مصداقية مافيه، وهذا غلو لا ينبغي وجهل كبير بالتقنية وكيفية الانتفاع بهـــا في المجالات المهمة.

وخير من هذا وذاك ذلك الطالب المتوازن الذي جعل من وقته لحظات مع الانترنت لينتفع منه عبر الفوائد والفتـــاوى والمقالات وغيرها من سبل الانتفاع ، أو ينفع غيره من رفع المواد المهمة أو الإشراف على المواقع أو المنتديات النافعـــة شريطة أن يرتب وقتاً لذلك حتى لا يطغى على حبه للكتاب والاستفادة منه ومطالعة الجديد في المكتبات واقتناء الكتب المفيدة، وهذا التوازن نعمة ربانية يهبها من يشاء من عباده.

رزقنا الله وإياكم الحكمة في التعامل مع الأمور.

مفهوم رعاية الوقت

يتحدث الكثير من العلماء عن حفظ الوقت ويسردون الأدلة والأقوال التي تعتني بهذا الجانب، وهـذا شـيء نحتاجـه جميعنا.

ولكن الذي يؤسف له أن بعض طلاب العلم يقْصرون " حفظ الوقت " إلى الجانب العلمي فقط، ويغفلون عن عبادات أخرى قد تكون أوجب من طلب العلم بحجة المحافظة على الوقت، وتأمل معي:

١- التقصير في خدمة الوالدين وقضاء حوائجهما بحجة الانهماك في القراءة أو البحث.

٢- التفريط في صلة الرحم بحجة طلب العلم والارتباط بالدروس والدورات العلمية.

٣- السهر على طلب العلم والتفريط في العمل الوظيفي أو الدراسة بزعم أن بعض السلف كان يسهر في العلم.

٤- التهوين من شأن البرامج الدعوية ولمز بعض الدعاة أو الوعاظ بتهمة إضاعة الوقت مع عامة الناس أو البرامج غـير الجادة " في نظره " .

٥- قد يتأخر بعض طلاب العلم عن الصلاة بسبب الانهماك في بحث علمي مركز ويقول صاحبنا: " طلب العلم أفضل من صلاة النافلة " فلماذا أبكر للصلاة ؟ بل سأحضر عند تكبيرة الإحرام، وكل هذا من " فنون إدارة الوقت " عنـد هذا.

٦- التفريط في قراءة القرآن وتدبره بسبب جرد المطولات وتحقيق الأحاديث.

والأمثلة كثيرة التي تدل على وجود الخلل في مفهوم المحافظة على الوقت عند بعض طلاب العلم.

ولأجل التوضيح أقول:

١- إن حفظ الوقت هو أن لا يضيع في أمر غير نافع من لهو أو نوم زائد أو كلام غير مهم أو نحو ذلك من مضيعات الأوقات.

٢- حفظ الوقت هو: القيام في الوقت بما يطرأ في ذلك الوقت من عمل صالح ، ففي وقت الوجود مع الأسرة يكـون حفظ الوقت في الجلوس معهم وتربيتهم ومداعبتهم ، وعند حضور الصلاة يكون حفظ الوقت في التبكير لها والتسابق إليها، وعند وجود البرامج العلمية يكون بالقراءة والاطلاع وحضور الدروس، وعند نزول الضيف بك يكون حفـظ الوقت بتأدية حق الضيف.

وهكذا نراعي في الوقت ما يستحقه من العبادات التي تناسبه وتلائمه.

طالب العلم وفقه النصوص

امتلأت ساحتنا بطلاب العلم – بحمد الله – وهذا الامتلاء دليل خير للأمة ولكن يجب أن يكون التوجيه لهؤلاء بفقه الطلب وحسن إدارة المنهج مستمراً لئلا تزل القدم ويقع الخلل.

ولعل من فقه الطلب " أن يعتني الطالب بفقه النص " ويظهر ذلك في:

- لا يكفي حفظ النصوص بل لا بد من فهمها فهماً واضحاً على منهج السلف.
- يفيدك في الفهم: قراءة الشروح على النصوص، وحضور مجالس العلم التي تشرح فيها النصوص، ومعرفة اللغة العربية ودلالاتها.
- من الجيد أن يدرِّب الشيخ طلابه على استنباط الفوائد من النص ثم يصحح لهم.
- هناك كتب تناولت فوائد النصوص بالأرقام وهذه لها أثر كبير؛ مثل: (١٠٠) فائدة من حديث كذا أو من قصة كذا.
- بعض العلماء يتفنن في الاستنباط ضمن الشروحات، فمن الجيد أن نكتب تلك الفوائد ونقيدها.

- أقترح إيجاد دورات علمية تدريبية على فهم النصوص واستنباط المسائل والفوائد منها.
- عندما يتعود الطالب على جودة الفهم ودقة الاستنباط فإنه سيحب العلم ويتلذذ به، وهذا شيء مجرب.
- رائع أن تستعين بربك في الفهم، فالله هو الفتاح وسيفتح لك في الفهم في الشريعة ما لا يخطر بالبال.
- قال ابن القيم: وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يمده تقوى الرب وحسن القصد.
- عندما نتعود على فهم النصوص فسوف نقدر على مواجهة أهل البدع والفساد؛ لأن النص واحد، والفهم مختلف ، ولذا قال سفيان الثوري: يا أصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث لا يقهركم أهل الرأي.

ولعل الناظر في بعض الصحف يجد الجرأة في فهم النص وتحريفه إلى ما يهواه الكاتب ويحتج بأن باب الفهم في النص مسموح لكل أحد حسب الطريقة التي تناسب كل قارئ ، وفي هذا من الفساد العقدي والمنهجي والسلوكي الشيء الكبير.

لذا وجب على حرَّاس الشريعة حماية النص وحماية الفهم الصحيح المراد منه بالبيان والرد على كل متهم له.

عند الفتن من هو شيخك

من مصائب الفتن أنها تُغيِّب عند بعض الناس مصدر التلقي للفتاوى، فتجد أن بعض هؤلاء يختارون " من يشاءون " من المفتين، سواء كان ذلك المفتي من شبكة الإنترنت أو ممن فاز بزاوية في صحيفة، أو ممن ظهرت صورته في قناة.

ولا يزال فئام من الناس يتتبعون الفتاوى التي تناسب شهواتهم وميولهم وأهوائهم، ويفرحون بها وينشرونها عبر وسائل النشر المتاحة من رسالة جوال أو منتديات الشبكة أو جلسة مسامرة في استراحة أو مناسبة ، ويعقب هذا الفرح التمسك بها والتعبد لله بها وهنا مكمن الخطر.

وعندما ترشد هؤلاء لفتاوى كبار العلماء ممن شابت رءوسهم ولحاهم في العلم إذا بهم يرفضونها ويتهمون أصحابها بأنهم لا يدركون الواقع، ولا يفهمون النصوص ولا يتقنون مبدأ التيسير على الناس.

وهذا – والله – من صور الافتتان في هذا العصر حينما يُغيَّب رأي العالم البصير ويقبل رأي غيره من الصغار أو ممن لم يعرف بالعلم و لم يشهد له العلماء بالطلب وثني الركب في مجالس العلم.

ورحم الله السلف الذين كانوا يميزون من يأخذون عنه العلم؛ قال ابن سيرين رحمه الله تعالى : " إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم ".

قيل لإسماعيل بن عياش رحمه الله تعالى : ممن نأخذ العلم؟ فقال: من المشهورين المعروفين.

وقال ابن عون رحمه الله تعالى : إنا لا نأخذ العلم إلا ممن شهد له عندنا بالطلب.

فتأمل هذه الأقوال التي تؤكد على ضرورة التأني في الأخذ عن من يتحدث عن أمور الشريعة.

وأخيراً: أقول كما قاله أحدهم: دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذه، وخذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا. الكامل لابن عدي (١/١٥٥).

التأليف والعبادة " البخاري نموذجاً "

لعل من أهداف كثير من الباحثين في العلم الشرعي " التأليف " وهذا هدف كبير، والأمة تنتظر المزيد والمفيد والجديد في المكتبة الإسلامية.

ولكني هنا ألفت انتباه نفسي وكل طالب علم يحب التأليف ويعشق الكتابة إلى ضرورة ارتباط التأليف بالتعبد لله تعالى والاتصال به.

ولعل من أشهر القصص في هذا الباب قصة الإمام البخاري رحمه لله تعالى الذي قال عن صحيحه: " ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليت ركعتين " .

ولقد توقفتُ عند هذا الخبر طويلاً وسرت في أبعاده، وعشت في ظلاله، فتعجبت كثيراً؛ لأن عدد أحاديث صحيح البخاري تقارب (٧٥٦٣) حديثاً على اختلاف يسير في الترقيم.

وأنت عندما تحسب لكل حديث " اغتسال وركعتان " فسوف تقف طويلاً لعمق الإيمان والاعتصام بالله تعالى في تأليف الكتب ونفع الناس.

وتشعر بالتأني والرفق الذي كان عليه الإمام البخاري رحمه الله تعالى.

وتسأل نفسك وتقول: ولماذا يصلي ركعتين قبل كتابة حديث؟! وماذا عاش فيها؟! وماذا قال ؟ وكيف سأل ربه التوفيق والتأييد للتأليف؟

إنها أسئلة كثيرة ومتنوعة يقف عندها من يجيد التأمل.

ولعل من أسرار تلك الركعات أن بقي القبول لصحيح البخاري على مر الزمان وتم الانتفاع وقوية الحجة لطلاب الحديث.

فما أعظم آثار الاعتصام بالله والتعلق به.

ويا ترى هل مؤلفو زماننا يسيرون على منهج البخاري مع " الركعتين " أم أن شهوة التأليف والبحث عن الشهرة والرغبة في أن يعرف شخصه أو كتابه أنسته " الركوع والسجود " .

إننا مع رغبتنا في مطالعة جديد الكتب نفتقر إلى " رائحة القبول للكتاب " الذي يضعه الرب الكريم لمن رأى منه الصدق وعلم منه الحب لنفع الناس.

فرسالتي لك: تلمّس حاجة قلبك إلى ربك قبل أن تمسك قلمك، وحينها سيجري القلم ويترل القبول.

طالب العلم والإنترنت

لا يخفى على كل ذي عقل أن الإنترنت أن الآن هو سيد العالم التقني، ورائد باب سرعة وصول المعلومة وتشاركه القنوات في بعض ذلك.

وإذا صح هذا فإن طالب العلم لا بد أن يدخل هذا الباب – الإنترنت – من عدة زوايا:

١- التصفح لمواقع العلماء والفتاوى والبحوث لرؤية الجديد والمفيد.

٢- طباعة المسائل والبحوث من المواقع النافعة وتكوين مكتبة بأرشفة متميزة ضمن مكتبة منزلك.

٣- الكتابة في المواقع النافعة بالمقال المفيد أو المسألة العلمية مما يثري تلك المواقع ويساهم في نشر العلم لمن يريده.

٤- المشاركة في الردود العلمية على الشبهات والبدع المعاصرة، وفي هذا دفاع عن المنهج، وجهاد في سبيل العلم، قال ابن تيمية: " الراد على أهل البدع مجاهد " .

٥- وضع دروس في مواقع البالتوك الصوتية، وقد ثبت انتفاع الناس بها وخاصة أصحاب الديانات الأخرى.

٦- الإشراف على بعض المنتديات في " الجانب العلمي " منها، مما يكون سبباً في ضبط المشاركات بضوابط العلم، ليس كما هو موجود حالياً في بعض المنتديات.

٧- إنشاء طلاب عبر النت يتتلمذون على يديك من مختلف دول العالم عبر ما تضعه لهم من مناهج علمية ودروس ضمن مستويات تعليمية، وقد جربها بعض الإخوة ونفعت.

٨- المشاركة في الإجابة على الفتاوى الواردة لذلك الموقع، لتظهر إجاباتك في قسم الفتاوى للمتصفح.

٩- تحميل البرامج النافعة التي تهم طالب العلم، والتي تسهل عليه عملية البحث والاطلاع، مثل: الموسوعات الحديثية والفقهية ونحوها.

١٠- متابعة الجديد من الكتب والإصدارات التي تثري معلومات طلاب العلم.

١١- الاطلاع على واقع المسلمين ورؤية ما يجري لهم ليكون طالب العلم على بصيرة بواقعه وليمكن له تحليل الحدث وفق المنهج الشرعي.

٤٠ نداء لطالب التحفيظ

١- ارفع يديك إلى ربك واسأله الثبات على طريق القرآن.

٢- أصلح نيتك واعلم أنها مقياس التوفيق الرباني لك.

٣- اقرأ القرآن على معلم متقن.

٤- التزم بأحسن الأخلاق مع أستاذك.

٥- اضبط من أمور التجويد ما يرتقي بطريقة القراءة لديك.

٦- الزم حلقات القرآن ولا تعتذر عنها إلا في أقسى الظروف.

٧- ابحث عن الحلقات التي فيها الإعداد المناسب والإدارة الرائدة.

٨- راجع ما تحفظ باستمرار؛ لأن القرآن سريع التفلت.

٩- من أجود أسباب الحفظ: القراءة بالمحفوظ في الصلاة.

١٠- قلل المحفوظات ليثبت الحفظ.

١١- احرص على التبكير للحلقة وكن متميزاً بأنك أنت الأول دائماً.

١٢- نور القرآن هو الخشوع والتأثر عند تلاوته فتخلق بهما.

١٣- الذنوب تمحق بركة الحفظ فاحذر منها.

١٤- ليكن معك مصحف صغير في جيبك لكي تراجع فيه في أوقات الفراغ في المدرسة وغيرها.

١٥- ليكن لديك مصحف على نسخة واحدة من التنسيق حتى تضبط أمور المراجعة لديك.

١٦- قلل طعامك، فبالتجربة يقوى بذلك حفظك.

١٧- اعمل بما تتعلم من آيات الأوامر والآداب واحذر من آيات المنهيات.

١٨- كن قدوة حسنة في سلوكك وأخلاقك وليظهر أثر القرآن عليك.

١٩- الزم الطالب المجد الذي تنتفع برؤيته قبل كلامه.

٢٠- التزم بآداب الأخوة الإيمانية مع أصدقاء الحلقة وغيرهم.

٢١- حافظ على دروسك ولا تكن الحلقة سبباً لضعف مستواك الدراسي.

٢٢- رتب برامجك وأعمالك حتى تحقق أهدافك.

٢٣- كن متوازناً بين ما تطلبه الحلقة منك وما تطلبه المدرسة.

٢٤- لا تتعلق بأحد الشباب أو بالمدرس تعلقاً مذموماً ولتكن علاقتك بهم لله وفي الله.

٢٥- عند رؤية مخالفة في الحلقة أو عند أحد الطلاب فاسلك أحسن الطرق في علاجها أو اسأل مدرسك عن ذلك.

٢٦- قبل الخروج مع الطلاب للنزهة تأكد من حقوق والديك وأمورك الدراسية.

٢٧- اعتن بلباسك ورائحتك ، واعلم أن الله جميل يحب الجمال.

٢٨- احرص على البرامج الجادة المصاحبة للحلقة من الدروس العلمية وغيرها.

٢٩- والديك بحاجة إليك فاحرص على برهما.

٣٠- التحق بالدورات التي فيها تطوير لمستواك العلمي أو الذهني والإبداعي.

٣١- اقرأ في تفسير مختصر ليفيدك في ضبط معاني القرآن.

٣٢- تعرف على أسباب النزول والمعاني المشكلة في الآيات التي تحفظها.

٣٣- تعلم الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن.

٣٤- إياك والحسد لمن يتميز عليك بحفظ أو خلق بل ادع له وجاهد نفسك على اللحاق به.

٣٥- حسّن صوتك بالقرآن ورتله ترتيلاً.

٣٦- تعّرف على بعض الأحاديث الضعيفة المتعلقة بالسور والآيات.

٣٧- اضبط الفضائل الصحيحة للسور والآيات حتى تكون عنايتك بها أشد.

٣٨- تدرب على تدبر القرآن واكتشاف كنوزه وابدأ بكتابة شيء من ذلك في دفترك الخاص ثم اعرض ذلك على بعض أهل العلم.

٣٩- عندما يكون لديك مصحف قديم أو ممزق فتعامل معه إما بالإحراق أو دفنه في موضع طاهر.

٤٠- إذا ختمت القرآن:

اعلم أنك حصلت على كنز كبير، فاتق الله دوماً وأبداً، واحرص على المراجعة الدائمة.

ابدأ بتعليم الآخرين، أو اتجه لفنون أخرى وطرق في التقدم العلمي أو الدعوي.

وختاماً: اعلم أن القرآن حجة لك أو عليك فاتق الله وراقبه وكن خير دليل على القرآن بسلوكك وتقواك.

طالب العلم والوقت

أجمع كل من دخل في " طلب العلم " أن العناية بالوقت هو الطريق الأعظم والباب الواسع الذي يلج إليه طالب العلم الصادق.

والحديث عن الوقت وأهميته ووسائل نيله مطروق في غير هذا الموضع، وقد أشبع العلماء كتبهم في الحديث عنه، ولكني هنا أضع مقترحات وإشارات تنفعك بإذن الله تعالى:

- ارفع يديك إلى مولاك لكي يمنحك الحفظ للوقت، وأن يبارك لك في وقتك.
- معنى "حفظ الوقت" هو: استغلاله فيما ينفع في العمل المناسب للوقت المناسب، فمثاله:
- في وقت الدراسة النظامية، لا يناسب أن تغيب عن المدرسة لأجل حفظ المتون أو جرد المطولات.
- في بيتك وأنت في الجو الأسري لا يناسب أن تغيب عنهم لكي تقرأ، وتترك والديك أو زوجتك بلا أنيس، إلا عند الاستئذان منهم ومراعاة الأحوال.
- عند أوقات العبادة الفاضلة؛ مثل " الصلاة" فلا يناسب الانشغال بالعلم، بل الأولى المبادرة إلى الصلاة.
- وبعد عصر الجمعة الأولى الإقبال على الدعاء وكثرة الابتهال إلى الله؛ لأن ذلك هو أرجى أوقات الإجابة كما دلت النصوص في ساعة الاستجابة التي في يوم الجمعة.
- وفي آخر الليل ووقت النزول الإلهي ما أجمل أن تكون ممن ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...))[السجدة:١٦].
- تستطيع الاستفادة من الوقت في الفراغ في عملك.
- وعند الإشارات.
- وأنت تمشي لم لا تراجع حفظك أو ترد على رسائل الجوال.
- قصة: أعرف من يراجع القرآن وهو يقرأ عبر جواله.
- تستطيع قبل النوم أن تلهج بالذكر حتى تغلبك عيناك.
- وأنت في بعض المجالس قد لا تستطيع فعل شيء لتستغل وقتك، ولكنك تستطيع أن تستغفر أو تسبح.
- اختر الوقت المناسب للوقت المناسب، فمثلاً: لا تقرأ الكتب المركّزة والعميقة في أوقات غلبة النوم أو العمل.
- ابدأ بالأوليات، فلا تتصفح كتب القصص والمواعظ وأنت لم تقرأ في كتب العقائد والتوحيد.
- رتب وقتك وخصّص شيئاً لتدوين الفوائد وترتيبها وفهرستها.

- لا بد من تخصيص بعض اللحظات للاستماع للشريط النافع وتدوين اللطائف والفرائد.

* وأنت في زحمة المطالعة والقراءة ستمر عليك لحظات التعب والنصب، ولكن هذا طريق العلم، والقاعدة: "لا ينال العلم براحة الجسد".

* إياك والكتب الساذجة والباردة، وطالع كتب السلف الذين استناروا بنور الوحي، وحينها أنت "طالب علم".

* استشر قبل القراءة، وليكن مستشارك ممن سار في قافلة العلم والعلماء، ليمنحك بعض التجارب التي لن تجدها في كتاب.

* لا بد من وقت لقضاء حاجات الإخوان والوقوف إلى جنبهم، وليس هذا من إضاعة الوقت، بل هو من فقه إدارة الوقت.

* اجعل هناك وقتاً لشراء الأغراض ومستلزمات البيت، وليكن هذا الوقت هو "الوقت الضائع" مثل " وقت العودة من مناسبة".

* صلة الرحم واجبة وليست إضاعة للوقت، بل هي وربي من الطرق التي نستجلب بها البركة في الوقت.

طالب العلم والوقت

هما قرينان لا ينفكان وينتج عنهما نفع للأمة وإبقاء للميراث النبوي.

إن القلم لسان ثان لطالب العلم، وكما قيل: (القلم أحد اللسانين) لذا وجب على طالب العلم أن يعتني بقلمه عبر هذه الإشارات:

- الحرص على اقتناء القلم في جميع مواطن حياتك، فهو في جيبك الذي في ثوبك، وفي مكتبك، وفي حقيبتك الخاصة، وفي جوار وسادة النوم.

وكل هذا لأجل العلم وكتابة الفوائد وصيد الخواطر، واقتناص الفرص والهمسات والأفكار التي قد ترد على عقلك أو قلبك.

- وإذا كانت نصوص الوحي قد راعت جانب العلم والتعلم والتعليم، فلا بقاء لكل ذلك إلا بالقلم الذي يساهم في نفع العلم عبر الكتابة من بوابة (حبر القلم) الذي هو (دموع تسطر أجمل الكنوز العلمية).

- وطالب العلم يقتني القلم المناسب له السهل والواضح في كتابته.

- لا بد من التدرب على الكتابة واستخدام القلم دوماً وأبداً، وعدم الملل من الكتابة والتحرير والبحث، وكما قيل: (لا يستطاع العلم براحة الجسد).

- قصة لطيفة: أحد السلف انكسر قلمه في أحد الدروس فصاح (قلم بدينار) فتناثرت الأقلام بين يديه.

فانظر لحرصه وانظر لهمتهم تركوا القلم (العلم) لأجل دينار.

وختاماً: القلم بين يديك يا طالب العلم، والأمة تنتظر (دموعه) وتترقب (حبره) فهيا نحو القلم وضمه إلى يدك وقل: باسم الله، وخذ ورقة ليضيء بياضها بسواد القلم.

بين الثقافة والتأصيل العلمي

في زحمة الصحوة العلمية في واقعنا قد نغفل عن (التأصيل العلمي) وننطلق نحو (الثقافة العلمية) وعندما تتأمل بعين الإنصاف ترى جموعاً من الشباب قد ساروا نحو الدورات العلمية للالتحاق بها، مع أن بعضهم قد لا تناسبه؛ لمخالفتها لحقيقة (التأصيل العلمي) له، فقد تناسب غيره أما هو فلا.

وترى آخرين يزورون المكتبات لشراء الكتب، واقتناء المجلدات، ويا ليت هذا الحرص مبني على قانون (التأصيل) بل في الغالب على مجرد القراءة و(الثقافة العلمية).

وأيضاً في (زيارة المواقع العلمية على الإنترنت) تتعجب من كثرة الوقت الذي يقضى على النت على حساب (التأصيل العلمي) مع أن الزائر لها لن يُعدم الفائدة، ولكنها (ثقافة علمية).

وانظر لواقع (الشريط الإسلامي) تجد (الكثرة العجيبة) والإقبال على سماعها، ولكن بدون النظر إلى مطابقتها (للتأصيل العلمي) في غالب الأوقات، وإنما مجرد استماع؛ أي: (ثقافة).

وفي الحقيقة: الأمثلة كثيرة التي تؤكد بكل جلاء غياب (التأصيل العلمي) عند البعض من محبي العلم، ولذلك لا ترى بعد مدة (طالب علم) متين العلم، واسع الاطلاع، قوي التأصيل، وإنما تجد (مستقيم) عنده معلومات متفرقة؛ أعني (ثقافة علمية).

فيا من سلك مسلك التعليم والتدريس: احرص على تأصيل العلم في نفوس طلابك، وليتعودوا منك ذلك ، ويا من سلك طريق العلم: الزم الجادة، وسر على نهج السلف، واحذر (ثقافة) لا تخرجك (عالماً).

طالب العلم والوقت

أجمع كل من دخل في (طلب العلم) أن العناية بالوقت هو الطريق الأعظم والباب الواسع الذي يلج إليه طالب العلم الصادق.

والحديث عن الوقت وأهميته ووسائل نيله مطروق في غير هذا الموضع، وقد أشبع العلماء كتبهم في الحديث عنه، ولكني هنا أضع مقترحات وإشارات تنفعك بإذن الله تعالى:

- ارفع يديك إلى مولاك لكي يمنحك الحفظ للوقت، وأن يبارك لك في وقتك.
- معنى (حفظ الوقت) هو: استغلاله فيما ينفع في العمل المناسب للوقت المناسب، فمثاله:
- في وقت الدراسة النظامية، لا يناسب أن تغيب عن المدرسة لأجل حفظ المتون أو جرد المطولات.

- في بيتك وأنت في الجو الأسري لا يناسب أن تغيب عنهم لكي تقرأ، وتترك والديك أو زوجتك بلا أنيس، إلا عند الاستئذان منهم ومراعاة الأحوال.
- عند أوقات العبادة الفاضلة؛ مثل (الصلاة) فلا يناسب الانشغال بالعلم، بل الأولى المبادرة إلى الصلاة.
- وبعد عصر الجمعة الأولى الإقبال على الدعاء وكثرة الابتهال إلى الله؛ لأن ذلك هو أرجى أوقات الإجابة كما دلت النصوص في ساعة الاستجابة التي في يوم الجمعة.
- وفي آخر الليل ووقت النزول الإلهي ما أجمل أن تكون ممن ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا))[السجدة:١٦].
- تستطيع الاستفادة من الوقت في الفراغ في عملك.
- وفي أوقات الانتظار.
- وأنت تمشي لم لا تراجع حفظك أو ترد على رسائل الجوال ؟
- تستطيع قبل النوم أن تلهج بالذكر حتى تغلبك عيناك.
- وأنت في بعض المجالس قد لا تستطيع فعل شيء لتستغل وقتك، ولكنك تستطيع أن تستغفر أو تسبح.
- اختر العمل المناسب للوقت المناسب، فمثلاً: لا تقرأ الكتب المركّزة والعميقة في أوقات غلبة النوم أو العمل.
- ابدأ بالأوليات، فلا تتصفح كتب القصص والمواعظ وأنت لم تقرأ في كتب العقائد والتوحيد.
- رتب وقتك وخصّص شيئاً لتدوين الفوائد وترتيبها وفهرستها.

- لا بد من تخصيص بعض اللحظات للاستماع للشريط النافع وتدوين اللطائف والفرائد.

- وأنت في زحمة المطالعة والقراءة ستمر عليك لحظات التعب والنصب، ولكن هذا طريق العلم، والقاعدة: (لا ينال العلم براحة الجسد).

- إياك والكتب الساذجة والباردة، وطالع كتب السلف الذين استناروا بنور الوحي، وحينها أنت (طالب علم).

- استشر قبل القراءة، وليكن مستشارك ممن سار في قافلة العلم والعلماء، ليمنحك بعض التجارب التي لن تجدها في كتاب.

- لا بد من وقت لقضاء حاجات الإخوان والوقوف إلى جنبهم، وليس هذا من إضاعة الوقت، بل هو من فقه إدارة الوقت.

- اجعل هناك وقتاً لشراء الأغراض ومستلزمات البيت، وليكن هذا الوقت هو (الوقت الضائع) مثل (وقت العودة من مناسبة).

- صلة الرحم واجبة وليست إضاعة للوقت، بل هي وربي من الطرق التي نستجلب بها البركة في الوقت.

على قمة الجبل سترتاح

من حين استيقظت همتك لطلب العلم وجدت بعض الصعاب على هذا الطريق وهذا ليس بغريب، فمن طالب لإدراك شيء عظيم فلابد أن يخاطر بعظيم ، والأشواك متعددة بأحجامها وألوانها، ولكن وراءها (بساتين وأنهار) والسعادة لا يُعبر إليها إلا على جسر المشقة، ولن يصل إلى الجبل إلا القوي.

فيا من طمحت همته إلى جبل الهمة ، البس ثياب الهمة لتصل إلى القمة وألف خطوة تبدأ من خطوة، وعندما تسير سترى أن الأمر يسير، ولكن يفتقر إلى بعض الصبر ولكن حين تصل إلى قمة الجبل سترتاح ، وللصبر حلاوة تبين في العواقب.

هل رأيت هذا الطالب

إنه فتى ولكنه طالب علم، يملك همة (تُحرق) من يقترب، فعجباً له.

لا يرضى بمنهج يسير أو حفظ قليل.

يُناطح العلماء بالهمم فهو يعرف (سفيان وابن تيمية وابن حنبل والشافعي).

إنه يُحاول أن يلحق بهم وليس ببعيد أن يقترب منهم ، و (من جد وجد) و(ليس من سهر كمن رقد) إنه يسهر ولكن غيره يرقد، وهو يتعب وأما غيره فمرتاح، إنه موقن بأنه (لا يُنال العلم براحة الجسد).

ومتأكد أن من أراد الراحة فليترك الراحة، وأن المعالي تريد صاحب المعالي.

إنه فتى ولكنه خير من آلاف الرجال الذين هم أصفار.

إنه فتى ولكن له شأن، وستُخبرك الأيام بمن سيقود السفينة، وانتظر إننا منتظرون.

العناية بفقه المناسبات

يا طالب العلم إنها ستمر بك أوقات وأحوال مختلفة فلا بد أن تكون فقيهاً في التعامل معها، بصيراً فيما ورد فيها من نصوص.

وإليك هذه الأمثلة:

حينما يأتي موسم رمضان، لابد أن تكون فقيهاً في أحكامه ومسائله وآدابه وما يتعلق به، وذلك بالاستعداد قبل دخول الشهر بالإطلاع على الكتب ومراجعة ما كتبه العلماء حول هذا الشهر.

وقل مثل ذلك في موسم الحج، وبداية الإجازة، وغيرها من المواسم المتكررة.

وهناك أحوال أخرى: مثال التفقه في أحكام المريض ومسائله حينما تنوي زيارة المريض، أو عندما يكون أحد أفراد أسرتك مصاباً بالمرض.

وعندما تريد السفر، فينبغي لك أن تنظر في كلام أهل العلم في أحكام السفر ومسائله.

وعندما تنوي الزواج فلابد أن تقرأ عن الزواج ومسائله والطلاق وأحكامه، لتكون على علم بما أنت قادم عليه، حتى تتجنب الأخطاء والبدع والمخالفات التي قد تواجهك في هذا الطريق.

وعندما تكون زوجتك حاملاً، فما أجمل أن تقرأ عن أحكام المولود وتسميته، ومسائل العقيقة حتى تتعرف على الأحكام التي ستواجهك حينما يرزقك الله بالذرية الصالحة إن شاء الله.

فيا من سلك طريق العلم كن فقيهاً في الأحوال والمناسبات بصيراً في مسائلها متجنباً للبدع والمخالفات التي قد تواجهك.

ومما يؤكد لك ذلك أن الناس سيسألونك غالباً في مثل تلك المواسم والأحوال ، فكيف تجيبهم إذا كانت حصيلتك العلمية في ذلك العلم ضئيلة ؟.

من مواقف السلف في الحذر من الفتوى

اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطأ.

ولهذا قالوا المفتي موقع عن الله تعالى.

عن ابن المنكدر قال : العالم بين الله تعالى وخلقه فلينظر كيف يدخل بينهم.

وورد عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا أشياء كثيرة معروفة.

عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

وفي رواية : ما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: من أفتى في كل ما يسأل فهو مجنون.

وعن الشعبي والحسن وأبي حصين قالوا: إن أحدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

وعن عطاء بن السائب التابعي: أدركت أقواما يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعد.

وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان : إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله.

وعن سفيان بن عيينه وسحنون : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما.

وعن الشافعي وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له ، فقال: حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب.

وعن الأثرم قال : سمعت أحمد بن حنبل يكثر أن يقول لا أدري وذلك فيما عرف الأقاويل فيه.

وعن الهيثم بن جميل قال : شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري.

وعن مالك أيضا أنه ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب.

وسئل عن مسألة فقال : لا أدري . فقيل : هي مسألة خفيفة سهلة ؟ فغضب وقال : ليس في العلم شيء خفيف.

وقال الشافعي: ما رأيت أحدا جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه على الفتيا.

وقال أبو حنيفة: لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت يكون لهم المهنأ وعلي الوزر.

وأقوالهم في هذا كثيرة معروفة.

قال الصيمري والخطيب: وقل من حرص على الفتيا وسابق إليها وثابر عليها إلا قل توفيقه واضطرب في أمره وإن كان كارها لذلك غير موثر له ما وجد عنه مندوحة وأحال الأمر فيه على غيره كانت المعونة له من الله أكثر والصلاح في جوابه أغلب واستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة أو كلت إليها وإن أعطتها عن غير مسألة أعنت عليها.

قلت: ومع هذه الآثار عن سلفنا الصالح إلا أنك تتعجب من بعض المتعالمين الصغار، يحفظ الواحد أجزاء من القرآن أو بعض المتون، وإذا به يتصدر في المجالس، ويفتي في المسائل الكبار، ويخطئ العلماء، ويرد عليهم، بل ومنهم من يسب العلماء في المواقع على الانترنت.

فرحماك يارب .

عتاب للمشايخ فقط

كثير من المشايخ الفضلاء وأهل العلم يتحدثون عن فضل العلم وتعليمه ويسردون الأدلة وأقوال السلف والقصص التي تؤكد هذا المعنى، ولاشك أننا بحاجة إلى من يبين هذا للناس ويوضحه لهم.

ولكنني رأيت ملاحظة على بعض هؤلاء (المشائخ الذي يحرصون على العلم والتعليم) وعفواً على جرأتي (فالنصيحة واجبة) وإن كانت (في بعض الأحيان ثقيلة).

الملاحظة هي: لماذا لا نعتني بطلاب العلم الجادين والمتميزين في حلقاتنا العلمية وبرامجنا الجادة ؟

إن الذين يحضرون دروس المشائخ والعلماء كثير وهم أنواع (فمنهم الجيد والذكي والعبقري والغبي والجاهل والكبير والصغير).

فيا ترى يا من وقفت للناس معلماً وشارحاً لهم تلك المتون وتلك الأصول العلمية (ألم تجد من بعض أولئك الطلاب مجموعة ولو كانت قليلة بحاجة إلى رعايتك واهتمامك)؟.

إن الطلاب الأذكياء كثيرون ولله الحمد، ولكن المشكلة في غفلة المشائخ وطلاب العلم عنهم.

إنهم يريدون أن يطلبوا العلم ويتميزوا فيه ولكن ذلك الشيخ يلقي الدرس ويذهب ولا يفكر فيهم.

إنهم يتمنون أن يقفوا لحظة معك أيها الشيخ لكي يسألوك وينتفعوا من علمك، ولكنك تلقي الدرس وتذهب مسرعاً إلى سيارتك.

إنهم بحاجة إلى شيء من وقتك لكي تسمع منهم أسئلتهم ومشكلاتهم وحاجاتهم، عجباً لك.

أما رأيت ماذا صنع الإمام ابن باز رحمه الله تعالى مع بعض الطلاب، لما علم بفقرهم وحاجتهم باع سيارته الخاصة لكي ينتفعوا بذلك المال (والقصة مثبته في كتاب مواقف من حياة ابن باز).

أما سمعت ماذا صنع العلامة الفقيه ابن عثيمين رحمه الله تعالى بطلابه؟

لقد ساهم في بناء أسكان لهم بجميع محتوياتها (للعزاب وللمتزوجين) ووضع مكافئات لهم .

فانظر ماذا ترك من علم وانظر ماذا ترك من طلاب؟.

إن ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يكن حريصاً فقط على (الدورات العلمية وحفظ المتون) بل إنه كان حريصاً على طلاب العلم فيقف معهم ويخرج معهم ويستمع منهم ويساعدهم.

إنني أقسم بالله (لو اعتنى المشائخ بالطلاب المتميزين) لانتفعت الأمة انتفاعا يفوق الوصف، ولأخرجنا رجال يحملون العلم والتعليم للناس كافة.

وإنني أعتقد أن هذا الأمر لا يكلف شيء (إلا بعض التفكير وحسن الرعاية وجودة الانتقاء للطلاب الجادين).
يا شيخ! لا تقل (أنا مشغول) فعندنا (سيرة العلمين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله تعالى) أعظم علما منك واتقى منك وأكثر حرصا على الوقت منك، ومع ذلك كانوا حريصين على (الطلاب الجادين والمتميزين).
إنك تستطيع أن تكون ممن يتخرج على يديه (علماء الجيل القادم) ولا يكون ذلك في نظري إلا بحسن الرعاية والتربية لطلاب العلم المبدعين.
إن ابن القيم خرج من مدرسة ابن تيمية، ومسلم تتلمذ عند البخاري، والسلف خرجوا من مدارس العلماء و(العلماء صنعوا لنا علماء) فماذا صنعت أنت؟

نتمنى منك بعض الجد والاجتهاد في (التفكير في هذه الأطروحة وهذا الاقتراح) لعل في ذلك (نصرة للدين وإنقاذاً للطلاب المهملين من بعض المشائخ) عفا الله عنهم.

طالب العلم وعلاقته بزوجته

لا ريب أن طالب العلم الصادق لا يحب إضاعة الوقت وتجده دائماً في (مكتبته) أو (مع قلمه وأوراقه) أوتراه في مجالس الذكر يكتب الفوائد والفوائد.

ولكن لما تزوج ومضت تلك الأيام الجميلة في (الحياة الزوجية) وإذا به يعود إلى برنامجه الأول في طلب العلم.

لقد رجع إلى قراءة الكتب والدروس والدورات العلمية ولكنة (نسي) أنه (متزوج).

نعم لقد نسي أن زوجته بحاجة إلى الجلوس معه والحديث معه وتبادل وجهات النظر.

إنه يظن أن حياته لا تتغير ولن تتغير ويعتقد أن الحديث مع الزوجة (ضياعاً للوقت) ولهذا تجده يمل ويتضجر ويتـــأفف وربما (ندم) على هذا الزواج لأنه أخذ بعض وقته.

أخي طالب العلم كن صريحاً معي ألم تشعر بهذه الخواطر؟ ألم تمر بك هذه السطور؟.

إنني أغبطك على علو همتك ومدى رغبتك في استغلال وقتك في العلم والتعلم.

ولكن لعلك تسمع مني هذه الهمسات اليسيرة:

١. إن الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٢. لو نظرت في حياة الأئمة والعلماء لرأيتهم ممن دخل (عالم الزواج) ولا عبرة بالقلة الذين لم يتزوجوا.

٣. إن الزواج ليس عائقاً عن طلب العلم بل قد يكون عوناً لك.

٤. أوصيك باختيار المرأة التي تعينك على طلب العلم.

٥. لابد من ترتيب الوقت ومراعاة أن هناك وقت للأهل وأن هذا من الحقوق الواجبة عليك «وإن لأهلك عليك حقاً» (صحيح سنن الترمذي ٤١٣/٥)

٦. قد تكون زوجتك لا تهتم بطلب العلم فعليك بالتأني والرفق في إقناعها بفضل العلم، و لا تستعجل النتائج فقـــد لا تستجيب لك في بداية الأمر.

٧. إن زوجتك بحاجة إلى العلم ولكن عليك اختيار الطريقة المثلى في تعليمها و دعوتها.

٨. قد تكون زوجتك لا تحب الكتب والمجلدات ولكن رغبتها في مطالعة المجلات الإسلامية والقنوات الإسلامية .

٩. اعلم أن حسن الخلق مع الزوجة و المودة والاحترام هو أعظم طريق يجعل زوجتك تحبك، وإذا تم ذلك فسوف تجد زوجتك خير معين لك في طريق العلم.

١٠. إياك أن تظن أن ترك الزوجة و الأبناء هو الحل لكي تطلب العلم بل اعلم أن الحل هو (حسن التربية و التدبير).

١١. ليس المهم أن تكون زوجتك (طالبة علم) من الدرجة الأولى فقد تكون المرأة قليلة العلم التي تملك الفطرة النقية خير من كثير من المتعلمات.

١٢. استعذ بالله من نزغات الشيطان ، واتق الله تعالى في حقوق أهلك ، واعلم أن هناك في الأعمال فاضل ومفضول ، فاحرص على ضبط الأمور بميزان الشرع لا بالهوى والجهل .

طالب العلم وثقافة الواقع

إن الواقع المعاصر يمر ببعض الأزمات والتغيرات ولا بد لطالب العلم أن يكون على اطلاع فيما يجري في واقعه.

والناس في هذا الأمر على طرفين ووسط.

فأما الطرف الأول: فهو الذي يبتعد عن الواقع ويعتزل الناس ببدنه أو بقلبه، فهو مشغول بالعلم وحفظه والنظر في الكتب ومجالسة العلماء، ولكنه لا يدري ماذا يجري في العالم الإسلامي ولا يعلم ماذا يحدث في واقع الناس، ولا يعرف مشاكل الناس وهمومهم، ولا شك أن هذا النوع من طلبة العلم هم على خطأ.

وأما الطرف الثاني: فهو ذلك الحريص على العلم ولكنه بدأ ينظر في القنوات الفضائية والمجلات الدورية، والجرائد اليومية، والمواقع الإخبارية ، بحجة الاهتمام بالواقع ولكنه بدأ يفرط بالعناية بطلب العلم وأصابه الفتور فيه، فأصبح يتثاقل قراءة الكتب وقد كان من عشاقها، وأصبح لا يحضر مجالس العلم إلا قليلا بل وأصبح مدمنا للقنوات الإخبارية، وإذا عاتبته في ذلك قال لك: لا بد من معرفة الواقع وهذا النوع من الطلاب على خطأ أيضاً.

وأما النوع الثالث وهو خيرهم والوسط بينهم، فهو الذي أخذ بالتوازن بين العناية بطلب العلم وبين العناية بفقه الواقع فهو جاد وصادق في طلب العلم ويضرب به المثل في علو الهمة في طلب العلم وهو أيضاً ممن يعتني بفقه الواقع والنظر في أحوال الناس وأخبار المسلمين.

وهذا ما نريد الوصول إليه فالحذر الحذر يا طالب العلم من طرفي الأمور.

هيبة العلماء لا تمنعك سؤالهم

قال أيوب السختياني: (لقد جالستُ الحسن أربع سنين فما سألته هيبةً له) (الحلية ٣/١١).

قلت: وذلك لتعظيمهم لمكانة العلماء وهيبتهم ، ولا شك أن الله قد وهب العلماء الربانيين هيبةً وقدراً في نفوس الناس لأنهم حققوا الخشية من الله تعالى ولهذا قال بعض السلف: من خاف من الله خافه كل شيء.

ولكن لا بد من التذكير والإشارة بأن العلماء لهم قدرهم في قلوبنا ولكن لا يمنع من سؤالهم ونقاشهم بل ولا مانع من نصيحتهم إذا أخطأوا، مع مرعاة حسن الأدب معهم.

طالب العلم وضبط القواعد

إن من الضروريات لك يا طالب العلم العناية بـــ (ضبط القواعد والضوابط) التي تمر عليك في مشوارك العلمي، سواءً كانت هذه الضوابط مقروءة أو مسموعة.

وقد اعتنى العلماء بالتأكيد على ذلك في كتبهم وأشرطتهم، ومن العلماء الذين أكدوا على ذلك العلامة الفقيه محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى ولقد قرأت له وسمعته مرات ومرات يؤكد على ضرورة العناية بذلك.

أخي طالب العلم ، إن العلم كثير، وهو بحر لا ساحل له، ولكنك عندما تحرص على (الضوابط والقواعد) فإنك تجمع في ذهنك كثير من المسائل الفرعية وذلك لأنك ممن ضبط (فنَّ القواعد).

وتأمل هذه الأمثلة:

١- عندما تضبط القاعدة في طهارة المياه وهي (أن الأصل أن الماء طهور إلا إذا تغير لونه أو طعمه أو رائحته بشيء نجس).

فإنك عندما تحرص على هذه القاعدة فسوف تفهم جميع المسائل التي تمر عليك في (باب طهارة الماء) وسوف تستطيع الإجابة على أيِّ سؤال في هذا الباب.

٢- عندما تضبط قاعدة (الأصل في العبادات التوقيف) وتعلم أنها تدل على تحريم إحداث أي عبادة إلا ما ورد في الشرع إثباتها، فعندما تفهم هذه القاعدة وهذا الأصل فإنك سوف تضبط كثير من مسائل البدع في العبادات، وسيتبين لك المشروع والممنوع.

والأمثلة أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، إنما قصدي هنا (الإشارة) وليس (الإحاطة).

يا طالب العلم ، احرص على ضبط القواعد، واكتبها، واجمعها، واحفظها، وناقش طلاب العلم فيها، وتعود على ضرب الأمثلة، وسترى خيراً كثيراً إن شاء الله تعالى.

يا طالب العلم.. أين الهمة العالية

إن أعظم الصفات التي ينبغي على طالب العلم التخلّق بها والسعي إلى اكتسابها هي: علو الهمة والتنافس للوصـــول إلى القمة ولو نظرت إلى حياة السلف وكيف كانت همتهم في طلب العلم لرأيت العجب.

وهمة السلف تنوعت في باب العلم وإليك مختصر سريع للعناوين العامة لتلك الهمة:

١- همتهم في قوة الإخلاص في طلب العلم.

٢- الهمة في الرحلة لأجل العلم.

٣- الهمة في الإنفاق لأجل العلم.

٤- الهمة في الصبر على طلب العلم.

٥- الهمة في الحفظ.

٦- الهمة في المحافظة على الوقت.

٧- الهمة في ملازمة العلماء.

٨- الهمة في الصبر على ملازمة الدروس.

٩- الهمة في تحمل أعباء الحياة كالفقر والمرض الحر والبرد وفقد الزوجة والأولاد، في سبيل طلب العلم.

١٠- الهمة في نشر العلم.

١١- الهمة في العمل بالعلم.

فيا طالب العلم جدِّد نيتك، وقوي عزيمتك، واهجر الراحة لتحصل على الراحة، واترك الوسادة لتنال السعادة.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

إن العلم باب خطير، يحتاج إلى رجل خطير.

كذا المعالي إذا مادُمتَ تدركها اعبر إليها على جسر من التعب

فابدأ من الآن ، ويكفي إضاعة للأوقات .

وكن ممن يحمل هم تعليم الناس، ونفعهم، وتوجيههم ولا شك أن ذلك لا يكون إلا على يد رجل عالم.

طالب العلم وبر الوالدين

لا شك أن طلب العلم له لذة يشعر بها كل صادق في طلب العلم، وهذا العلم يحتاج إلى بذل الوقت وعمارته بالمطالعة والمراجعة والحفظ.

ولما نظرتُ في حال بعض الطلاب رأيتُ أن بعضهم قد يحرص على العلم وعلى حضور الدروس والدورات العلمية ولكنه يغفل عن ركن عظيم وفرضٍ جليل من فروض الدين ألا وهو (بر الولدين).

وأنا لن أذكر لك الأدلة في وجوب بر الوالدين لأنك تعرفها، ولكني سأذكر لك بعض الملاحظات التي رأيتها على بعض الطلاب:

١. بعضهم لا يستأذن والديه عند ذهابه للدروس والمحاضرات، والواجب أن يستأذن لأنهما قد يحتاجانه في أمر ضروري.

٢. بعضهم قد يُقدّم البرامج العلمية على مواعيد والديه، ولا شك أن هذا خطأ.

٣. بعضهم سيء الخُلُق مع والديه فتجده رافعاً صوته، قاسي القلب، وهذا بلا ريب تناقض كبير، إذ كيف تقرأ النصوص في التأكيد على بر الوالدين ثم أنت تخالفها ؟

٤. بعضهم مقصّر في دعوة والدية إلى الخير .

٥. بعضهم يحترم العلماء والمشايخ احتراماً كبيراً وهذا (مطلوب) ولكن لماذا لا تحترم والديك كما تحترم العلماء؟

٦. بعض الطلاب ينفق أمواله في الأمور العلمية كشراء الكتب وغيرها، لكن والديه في حاجة شديدة إلى المال، والواجب أن يكون الطالب عنده توازن في هذا الأمر، فلا ينسى والديه وأيضاً لا يترك العلم.

٧. بعضهم يحرص على الدروس والمحاضرات حرصاً شديداً، ولكنه يهمل دراسته واختباراته ولا شك أن الوالدين يريدان من الابن الحرص على دراسته لكي ينجح ويتخرج من دراسته، فلا بد للطالب أن يحرص على دراسته لكي يتفوق فيها، ولكي لا يغضب والديه بسبب تقصيره في دراسته.

٨. بعض طلاب العلم قد يهمل في حقوق البيت ويترتب على ذلك أن والديه يغضبان عليه وقد تسمع من بعض الآباء (الدعاء على ولده) مع أن ولده (ظاهره الاستقامة بل قد يكون طالب علم) وهذا مما يحزن القلب.

فيا أيها الطلاب الله الله في بر الوالدين وهكذا كان السلف.

طالب العلم والزواج

بدأتُ بطلب العلم والحمد لله ، وأريد الزواج ولكن تأتيني بعض الخواطر لتأخير الزواج، خوفاً أن يكون الزواج عائقاً لي في طلب العلم، فما توجيهك لي؟

الجواب:

١- اعلم أن الذي أمرك بطلب العلم هو الله تعالى وهو الذي أمرك بالزواج أيضاً.

٢- ليس هناك تعارض بين طلب العلم والزواج.

٣- أوصيك باختيار المرأة التي تعينك على طلب العلم.

٤- اعلم أن ترتيب الوقت والتنظيم هو الحل الأعظم في الجمع بين الزواج وطلب العلم.

٥- انظر في التاريخ تجد أن العلماء والمجاهدين والعباد كانوا قائمين بما أمر الله وهم أيضاً لهم (زوجات وأبناء).

٦- إن من مداخل الشيطان أن يصرفك عن الزواج بحجة طلب العلم.

٧- اعلم أن (الزواج) يحقق لك العفة والحماية من فتن الشهوات.

٨- لا يكن قدوتك بعض العلماء العزاب؛ لأن القدوة الحقيقي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وله تسع نسوة.

طالب العلم والإخلاص

إن من أعظم فوائد طلب العلم هي " تربية النفس على الصدق والإخلاص" وما أدراك ما الإخلاص ؟

ذلك السر العجيب والعمل الجليل.

الإخلاص هو نور القلوب وضياء الأرواح ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))[البينة:٥] .

يا طالب العلم ليكن قصدك من العلم هو" ابتغاء الأجر والثواب من الله ورفع الجهل عن نفسك وعن غيرك" .

أخي الحبيب إليك هذه الكلمات:

في بداية الطلب قد تكون هناك أهداف لطلب العلم ليست لله مثل: التفوق على الآخرين أو البروز والظهور وهذا الأمر لا حرج فيه فقد قال السلف " طلبنا العلم لغير الله فأبى الله إلا أن يكون له والمراد : أنه كانت النية في البداية وهم صغار يقصدون التنافس ولكن مع استمرار الطلب وزيادة العلم انقلبت النية لله تبارك وتعالى.".

الإخلاص درجات ومراتب ولا يزال يزداد في القلب حتى يصل العبد إلى درجات عالية عند الله تعالى.

الإخلاص هو أكبر سبب يُبارك في العلم الذي تطلبه.

الإخلاص هو الذي يرفعك يا طالب العلم عند الله وعند الناس.

الإخلاص سبب لصحة الفهم وقوة الاستنباط ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يمدُّه تقوى الرب وحسن القصد" .

الرياء ضد الإخلاص وهو مرض خطير إذا تمكن في القلب فقد تمت الخسارة في الدنيا والآخرة.

الرياء في طلب العلم له علامات فاحذرها:

١- أن تحب المدح والثناء على الأعمال التي تمارسها في طلب العلم.

٢- محبة الظهور أمام الناس لأنك تتميز بطلب العلم.

٣- أن تتكبر على الناس وأن ترى نفسك بعين الكمال.

٤- كراهية النصيحة والتوجيه.

لا بد أن تمر بك بعض الخواطر في الرياء وحب الثناء ولكن جاهد نفسك على أن تدافعها عن نفسك.
تذكر دائماً أن أعظم أسرار التوفيق لك في طلب العلم هو الإخلاص.

انظر في سير العلماء والعباد لترى قوة إخلاصهم وصدقهم مع ربهم جل وعلى.
كن على يقين أن الله يعلم ما في قلبك فهنيئاً لك إذا رأى الله الإخلاص فيه.
أوصيك أن تدعو ربك دائماً بأن يصلح نيتك وسريرتك.

الممرضة يا أيها الطلاب

يا طلاب العلم ! أما تعّجبتم من خدمة تلك الممرضة لذلك الطبيب ؟

إنها ترفع له سماعة الهاتف لكي يرد وتخرج له (الختم) لكي يختم به على الأوراق، وتعطيه القلم لكي يكتب به وتخدمه بكل ما يريد لأجل إنجاز العمل بأفضل أسلوب.

إن تلك الممرضة تسعى بجميع الوسائل والطرق لكي تساهم في علاج ذلك المريض وخدمة ذلك الطبيب.

ألا تتفق معي على ذلك أخي طالب العلم ؟

سأنتقل بك إلى هدفي من حكاية قصة تلك الممرضة، إن قصدي هو لماذا نرى بعض تقصير طلاب العلم في خدمة أهل العلم من الدعاة والمشايخ والعلماء؟

لماذا لا نسعى لخدمة (مشايخنا) لكي يخدموا الدين بكل يسر وسهولة؟.

لماذا لا يذهب كل (خمسة طلاب) إلى ذلك الشيخ وذلك الداعية ويقولون له: (يا يشيخ نحن سنخدمك فيما تريد) .

المهم يا شيخ (نريدك أن تضع كل جهدك لخدمة الدين ونفع الناس).

يا طلاب العلم والله لو فعل بعض الطلاب مع (المشايخ) هذا الأمر وقاموا بهذه الخدمة، والله لسوف يفرح هؤلاء (المشايخ) وسوف يشعرون بحب كبير وهمة جديدة لأجل خدمة الدين، والتجربة خير برهان.

إنني أجزم بل وأقسم بالله أن بعض الطلاب عندنا مقصرون مع (شيوخهم) فلا يخدمونهم، ولا يساعدهم ولا يقفون معهم.

وإنما يكتفي الطالب بحضور الدرس أو سؤال الشيخ فقط!

ولو أراد الشيخ من طلابه: (خدمة يسيرة) لكان لسان الحال والمقال (نعتذر يا شيخ).

بكل صراحة إنني لا أشك أن سر نجاح ذلك الطبيب في عمله هو وجود تلك الممرضة التي تخدمه حتى في رفع سماعة الهاتف.

ونحن لا نريد ذلك مع (المشائخ) ولكن نريد تقديم بعض المساعدات لهؤلاء الذين لهم فضل علينا . يا طلاب العلم ، من الآن ليتجه كل أربعة منا إلى ذلك الداعية أو ذلك الشيخ ولنطرح فكرة (خدمتنا له) ولنكن صادقين محتسبين الأجر والثواب من الله.

أحبتي ، نحن لا نخدم ذوات المشايخ ولكننا نخدم الدين لأن ذلك الداعية وذلك الشيخ سوف يجد وقتاً أكثر لخدمة الدين ولترتيب برامجه الدعوية والعلمية.

وأخاطب (مشايخنا):

بأن يستقبلوا الشباب بكل صدر رحب وأن يقفوا معهم ويتواضعوا لهم وسوف تكون النتائج جميلة بإذن الله تعالى.

خواطر حول الكتاب

١ – مهما كتبت وراجعت كتابك فلابد أن تصلح فيه، ولابد أن تجد فيه النقص والخلل، قال معمر بن راشد: (لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط، أو خطأ) (جامع بيان العلم: ٣٣٨/١).

وقال المزني تلميذ الشافعي: (قرأتُ كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: هيه – أي حسبك – أبى الله أن يكون صحيحاً غير كتابه) (موضح أوهام الجمع: ٦/١)، قلت: صدق الله ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)) [النساء:٨٢].

٢ – نريدك أن تكتب الكتاب الذي يُنمّي العقل، ويبصر القارئ، ويُعلم الجاهل، ويذكر الغافل، نريد الكتاب الذي يزيد الإيمان، ويسعد الروح ويشرح الصدر، كتاباً يكون للمسافر أنيس، وللمقيم خير جليس.

نريد:

- كتاباً يستنير بنور الوحي، مليء بالنصوص من الكتاب والسنة.
- كتاباً قلمه الإخلاص، وحبره ((وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) [الفاتحة:٥].
- كتاباً حروفه دالة على كل خير وبر.
- وصفحاته داعية إلى كل صلاح وإصلاح.
- كتاباً فيه الموعظة الحسنة، فيه الكلمة الهادئة، والقصة الرائعة والحكمة الساحرة.
- كتاباً كلما طالعته رأيت فيه سهولة التوجيه، ورقة العبارة، ولطافة التربية.
- كتاباً لا يخلو من عبارات السلف وجواهر تلك الألسن الطاهرة.

٣– أيها الكاتب لا تغفل عن صلاة الاستخارة فيما تأتي وتذر.

٤– لا تغفل عن توثيق النصوص والأقوال، فإن ذلك دليل صدق الأمانة.

٥– الكتاب الذي لا يبذل صاحبه فيه جهده، لا أثر له.

٦– كن ممن يتقن فن الاختصار، والاختصار من الأمور التي يحتاجها الناس في هذا الزمان.

٧– لا بد من الاستنارة بالاستشارة لأهل الخبرة فيما كتبت.

٨– دعوة في سجود في آخر الليل بأن يبارك الله في كتابك (أمر مندوب لك).

٩– لا تستعجل في إخراج مقال أو كتاب، بل كن متأنياً وحذار من الاستعجال، وما أحسن التأني والمراجعة والتأمل مرات ومرات والوصية النبوية: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»(رواه مسلم: ٤٦٩٨).

١٠– قال أهل العلم: جودة الكتاب تعرف من أمور:

- حسن ترتيبه.
- اشتراط الصحة أو الحسن فيه.
- فضل مؤلفه ومعرفته بأنه من أهل العلم.

١١– تثبت من الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم .

١٢- اعلم أن الكتاب من (الصدقة الجارية)، ومن (علم ينتفع به)، فابذل وقتك فيه.

١٣– كتابك بلا إخلاص وبال عليك.

١٤– ما كان لله بقي ونفع.

التقوى يا طالب العلم

أخي طالب العلم: إن أجمل صفة تناسبك في مشوارك العلمي تقوى الله.

تلك الوصية الربانية، إنها وصية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ))[الأحزاب:١].

وهي وصية الله للأولين والآخرين ((وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ))[النساء:١٣١].

فأوصيك بأن تلازم التقوى في كل حياتك ، فعليك بالتقوى في القيام بما أوجب الله عليك من الفرائض، ثم جاهد نفسك على أن ترتقي إلى القيام بالنوافل، ثم استمر حتى تصل إلى المراتب العالية في العبادة كالورع واليقين والرضا .

يا طالب العلم ، إن من دلائل التقوى البعد عن الذنوب ومقدماتها والحذر من أسبابها ودواعيها.

إن الذنوب أصل كل بلاء وهي مفتاح الشرور وعواقبها على نفسك وعلى العلم الذي تحمل لا تحصى، قال ابن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها.

وقال وكيع: استعينوا على الحفظ بترك المعاصي.

وقال الإمام مالك للشافعي: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية.

والله إن المرء ليتعجب إذا رأى بعض الذين ينتسبون إلى العلم وهم يمارسون بعض المعاصي ويتساهلون في النظر إلى الحرام ومنهم من يتساهل في الغيبة، ومنهم من وقع في عقوق الوالدين، عجبا لكم.

أين العلم الذي قرأتموه، وحفظتموه ؟ أين الدورات العلمية التي حضرتموها لمدة أسابيع؟ ياترى هل هذه الأعمال هي ثمرة العلم؟.

إننا نتفق سويا على أن طالب العلم ليس بمعصوم، ولكننا نؤكد أن على طالب العلم أن يجاهد نفسه على أن لا يقع منه الذنب والخطأ.

أخي طالب العلم: لازلت أدعوك إلى أن تتقي الله في كل شؤون حياتك في كل حركة في كل نظرة وفي كل كلمة، تتقي الله عندما تتكلم وتتقي الله عندما تسكت وعندما تقوم وعندما تجلس، ووالله حينها سترى التوفيق الرباني ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا))[الطلاق:٢].

أدب السؤال

في كثير من الأحيان نحتاج إلى أن نسأل أهل العلم عن بعض المسائل التي نجهلها، ولاشك ولاريب أن السؤال مفتـــاح العلم كما جاء عن السلف ولكن ههنا إشارات للسائلين:

لقد اعتنى العلماء عناية بالغة بالتأليف في أدب الاستفتاء وبيان الوسائل الصحيحة والنافعة التي يحتاجها المستفتي.

ومن الكتب التي يوصى بها في هذا الباب جميع الكتب التي تتكلم عن طلب العلم وهناك كتب تكلمت بالخصوص عن أدب المستفتي، للسيوطي كتاب فيه، وانظر " حلية طالب العلم " للشيخ بكر أبو زيد.

وهذه رؤوس أقلام في أدب السؤال :

- لا تسأل إلا عما فيه نفع لك.
- اختيار الوقت المناسب.
- اختصار السؤال وعدم إطالته إلا عند الحاجة إلى ذلك.
- لا تخجل من السؤال قال مجاهد : (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر) .
- السؤال عن الأشياء الواقعية والبعد عن الأسئلة الافتراضية.

- ذكر أهم ما يتعلق بالسؤال والبعد عن الكلام الذي لا يتعلق بالسؤال.
- عند الاتصال بالجوال فلابد من مراعاة الأدب.
- عند الاتصال على البيت لابد من مراعاة أن في البيت أسرة وفيها نساء وأطفال.
- عند الاتصال في العمل، مراعاة ظروف العمل وأنك قد تتصل في وقت يكون عند الشيخ بعض الناس أو لعل عنـــده بعض الأعمال التي قد تحول بينه وبين الرد عليك.

- لا تقل أنا سألت الشيخ (فلان) أو فلان وأفتاني بكذا، لأن هذا الأمر يجعلك في اضطراب وحيرة، فما هو القول الذي ستأخذ به من هذه الأقوال.

- لا تمتحن الشيخ بالسؤال.

وصية :

انظر في فتاوى الصحابة والأئمة رضي الله عنهم فلعلك ترى فيها بعض ما في ذهنك من الأسئلة والشكاوى.

لو قرأت كتب الفتاوى المعاصرة للشيخ ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين رحمهم الله واللجنة الدائمة لحصل لك شبه استغناء عن سؤال العلماء، لأن كتبهم مليئة بالفتاوى المعاصرة.

وانظر في فتاوى العلماء الراسخين في العلم في المجلات والإنترنت لكي تستفيد.

والمرأة عند السؤال تنتبه لأمور :

١. لا تخفض صوتها يقول الله تعالى : ((فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا))[الأحزاب:٣٢].

٢. يلاحظ على بعض النساء الإكثار من السؤال عن الرؤيا والمنامات وماشاكلها مما لانفع فيه، وتزعج العلماء وطلاب العلم بذلك والواجب أن تسأل المرأة عما ينفعها وأن تبتعد عن بعض الأسئلة التي لا تنفع.

٣. ويلاحظ على النساء إطالة الأسئلة وعدم التقيد بالمهم فلتنتبه المرأة لذلك.

٤. وبعض الأخوات تعرض نفسها للزواج وهذا ليس مجاله الهاتف.

٥. وبعض النساء تريد الإيقاع بالمشايخ في شباك الفتن والشهوات من خلال بعض العبارات والكلمات، فلتتق الله ولتراقب الله عز وجل .

هذه خواطر حول أدب السؤال، ولعل عند التأمل يظهر ما هو أكثر منها، نسأل الله عز وجل التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح.

الصبر يا طالب العلم

من السهل جدا أن نتكلم عن الصبر في طلب العلم وإيراد مواقف السلف في ذلك وسرد القصص والأبيات التي تؤكد ذلك ولكن في الحقيقة إننا بحاجة إلى نبدأ في تربية النفس تربية عملية على كيفية الصبر في تحصيل العلم وفي الحديث (ومن يتصبر يصبره الله) [أخرجه البخاري: ١٤٦٩] .

أمثلة مهمة:

- الصبر على حضور الدرس العلمي حتى لو كان في وقت لم تتعود عليه (بعد الفجر مثلاً) أو (بعد العشاء) فأنت لم تتعود على ذلك ولكنك لابد أن تجاهد نفسك على الصبر.
- أحيانا تقام دورات علمية مكثفة في القران أو في بقية العلوم وتجد الشباب يقبلون عليها إقبالا عجيبا في بداية الدورة ولكن بعد أيام يقل الحضور ويغيب الكثير من الطلاب لأنهم فقدوا الصبر.
- عندما تقرأ كتاب تبدأ بهمة عجيبة ولكن وبعد عشر دقائق تتوقف وتمل وتخرج من البيت تبحث عن صديق أو تكلم بالجوال لكي تروح عن نفسك فأين الصبر؟ .
- عندما تحضر لبعض الدروس والمحاضرات تجلس في أولها ولكن هل تبقى إلى نهاية الدرس؟.
- عندما تجالس العلماء وطلاب العلم ويبدأون بطرح المسائل العلمية والفوائد تنظر لبعض الشباب وكأنه نادم للحضور لأنه لايفهم بعض المسائل فأين الصبر ؟.
- أحيانا يكون الدرس في مكان بعيد (مدينة أخرى) قد تنفق مئات الريالات من أجل الوصول لها فهل ستفعل ذلك ؟ نعم إذا وجد الصبر.
- عندما يعاتبك الشيخ أو يسألك، قد يكون لك إحراج وقد يدخل الشيطان عليك لكي يحرمك من الحضور مرة أخرى فهل تحضر؟.

- هل أنت ممن يسهر على العلم ويبحث في تحرير المسائل وتحقيقها ويراجع المجلدات والكتب أم أنك ممن تعود على الكسل ؟.
- هل سبق أن ركبت سيارتك واتجهت إلى مسجد بعض العلماء لكي تناقشه وتسأله عن بعض المسائل ؟.

- هل تحفظ شيء من المتون العلمية القصيرة ؟ أنا أعلم أن هذا يحتاج إلى صبر طويل فهل أنت من أهله ؟.

- هل تنفق بعض مالك في سبيل العلم، كشراء كتاب، أو زيارة عالم، أو سفر إلى أحد العلماء لرؤيته والسلام عليه ؟.

- أهلك قد يضجرون من العلم الذي تطلبه وقد تصيب زوجتك الغيرة من ذلك ، فهل تستجيب لأهوائهم وتتنازل عن العلم أم أنك ستواصل على طريق العلم (وتراعي حقوق الزوجة والأبناء) .

- كتابة العلم وتحرير المسائل وترتيبها يحتاج إلى وقت وصبر ومصابرة فأيقن بذلك.

أيها الطالب ، الصبر زادك في هذا الطريق ، وفضائل الصبر قد ملأت كتاب الله تعالى وسنة نبيه ، فاصبر وجاهد نفسك وسوف ترى نتيجة صبرك بعد حين .

مراجعة العلم

إن من أشهر أسئلة طلاب العلم المتكررة (أنا أنسى بعض المسائل فما هو السبيل لتثبيت العلم) ؟.

وهو سؤال يدل على حرص الطالب وعلو همته والجواب المختصر لهذا السؤال:

إن أعظم وسيلة لتثبيت العلم هي المراجعة الدائمة للعلم ولقد اعتنى السلف بالتأكيد على هذه الوسيلة .

قال علي بن أبي طالب: تذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا اندرس العلم ، وهذا الإمام البخاري يُسأل عن أعظم دواء للحفظ فقال (لا أعلم أعظم من همة الرجل ومداومة النظر) .

وقال الزهري: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

فأوصيك يا طالب العلم أن تراجع العلم مرات ومرات، والمراجعة على نوعين:

١. أن تراجع العلم مع نفسك، وكيفية ذلك أن تختبر نفسك في ظبط المسائل وحفظها، مثال (بعدما تنتهي من قراءة بعض أبواب الفقه) تغلق الكتاب وتسأل نفسك عن المسائل التي تمت قراءتها، وهكذا.

٢. أن تراجع العلم مع غيرك، وهذه الطريقة كان السلف يحرصون عليها فقد كان الإمام أحمد يتذاكر مع الإمام أبو زرعة – رحمهما الله – والآثار التي جائت عن السلف كثيرة.

وبالتجربة فإن مراجعة العلم مع طلاب العلم الراسخين من أقوى وسائل تثبيت العلم ، فليحرص طلاب العلم على المذاكرة والمراجعة وأوصيهم أن يلتزموا أدب الحوار والمذاكرة وسوف يحصلون على الخير العظيم بإذن الله تعالى.

طالب العلم واللسان

لاشك أن نعمة اللسان من أجل النعم ، ((أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ))[البلد:٨] ((وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ))[البلد:٩] ولايشعر بنعمة اللسان وأهميتها إلا من فقدها.

ولقد تواترت النصوص بوجوب المحافظة على اللسان وضرورة العناية به وضبطه، هذا لعامة الناس فكيف بطلاب العلم ؟.

ولا ريب أن الواجب عليهم أعظم لأنه كلما زاد علمك فلا بد أن يزيد عملك ويشتد خوفك.

وإن المتأمل لحال بعض طلاب العلم ليرى بعض الآفات الدخيلة التي لاتليق بمسلم فضلا عن طالب علم، وهذه إشارات إلى ضرورة العناية باللسان وتأكيد حفظه وضبطه.

كنت أقرأ في حياة بعض السلف، ومررت على بعض المحطات التي ذكرت واقعهم في شأن اللسان، فإليك بعض ماجاء عنهم لترى الفرق العجيب:

- قال الفلاس: ما سمعت وكيعا ذكر أحدا بسوء .
- قال البخاري: ما اغتبت أحدا منذ علمت أن الغيبة حرام.
- كان سعيد بن جبير لايدع أحدا يغتاب عنده.

فيا طالب العلم " أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك " وجاهد نفسك على أن تمنع لسانك من الآفات كالغيبة والكذب والسخرية والهزل والمزاح – المذموم – واعلم رعاك الله أن العلم هو أن نرى أثره عليك، وأما حفظ القران والمتون فلا تنفعك إن كان لسانك بخلاف هذا.

وفي الحديث الصحيح: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فرجيه أضمن له الجنة) [البخاري: ٦٤٧٤] .

تعلق بالعلم لا بالعالم

لما حضرت الوفاة معاذ بن جبل قعد يزيد بن عميرة يبكي عند رأسه فقال معاذ ما يبكيك ؟

فقال: أبكي لما فاتني من العلم.

فقال: العلم كما هو لم يذهب، فاطلبه عند أربعة فسمّاهم، ومنهم عبد الله بن سلام. – السير (٢/٤١٨).

قلت: كلنا يحزن ويبكي لموت العلماء ولكن يجب أن يكون موتهم دافعاً لنا إلى طلب العلم وعدم التوقف ويجب أن نعلم أن العلم باقٍ لأن الله قد تكفل بحفظه كما قال: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[الحجر:٩] والحمد لله على وجود بقية من العلماء ونحمده كذلك على وجود الكتب بيننا وغيرها من الوسائل المعينة على تحصيل العلم ، فما بقي علينا إلا التشمير والسير في طريق الطلب.

وهناك أمرٌ آخر يغفل عنه بعض الطلاب وهو أن الواحد منا قد يكون في قلبه تعلق ببعض العلماء وهو لا يشعر فإذا مات العالم توقف هذا عن طلب العلم وكأن العلم ذهب وكأن الخير زال عن هذه الأمة وهذا بلا شك خطأ كبير .

وهذا التعلق مذموم وهو مرض من أمراض القلوب. قال تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا))[آل عمران:١٤٤] نعم، لقد ارتد بعض من آمن لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد انكشف الإيمان في نفوس أصحابه لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم، فلماذا ياتُرى وقع ذلك ؟.

إنه التعلق بالشخص لا بالمنهج والدين ، وانظر إلى موقف أبي بكر رضي الله عنه لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم ثبت كالجبل وما نقص إيمانه ولا تزلزلت مبادئه بل أعلنها صريحة : " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " .

وهكذا يجب أن يتربى المؤمن فضلاً عن طالب العلم والداعية أن يتعلق بالدين لا بحملته فالعلماء يموتون والدُعاة كذلك والمصلحون ولكن تبقى الدعوة، ويبقى العلم، ويبقى المنهج.

طالب العلم والقرآن

والله إن الفرح ليأخذ بي كل مأخذ عندما أرى وفود من الشباب قد أقبلت على طلب العلم والدورات العلمية لكي ينهلوا من العلم وفي خضم هذا التنافس على طلب العلم تلحظ أمرا بدأ ينتشر بين بعض الطلاب ألا وهو الغفلة عن القرآن الكريم.

حتى أصبح هذا الأمر ليس بغريب أن تراه عند عدد ليس بالقليل من الطلاب، ولا شك أن هذا خلل واضح وخطأ كبير.

ومما يبين هذا ما قاله عطاء : " يأتي على الناس زمان يكثرون فيه من الأحاديث ويبقى المصحف معلقا يقع عليه الغبار ".

وقد رأيت كما رأى غيري أن بعض المعتنين بعلم الحديث خاصة إذا بهم يتركون قراءة القرآن أياماً ليست بالقليلة لأنهم قد انشغلوا بالتحقيق ودراسة الأسانيد وغير ذلك من العلوم المتعلقة بعلم الحديث.
وترى بعض الدارسين للدراسات العليا قد أخذت هذه الدراسة وقته حتى نسي القرآن والواجب أن يكون هناك توازن في العناية بالعلوم الشرعية وعدم تغليب جانب على جانب.

ولهذا كان كثير من السلف البارعين في شتى العلوم ترى أنهم قد حققوا مبدأ (التوازن).
فهذا الإمام أحمد المحدث الذي يحفظ (ألف ألف حديث) يختم القرآن كل أسبوع، وهكذا كان كثير من العلماء.
فيا ترى متى يحرص الطلاب على القرآن " حفظا وتلاوة وتعلماً وتعليماً " كما يحرصون على بقية العلوم؟.

أتمنى أن نجاهد أنفسنا لكي نحقق التوازن في العناية بالعلوم وأن نوقن بأن القرآن هو زبدة العلوم ومفتاح الخيرات والبركات في طلب العلم .

طالب العلم والحسد

عندما تنظر إلى واقع بعض طلاب العلم ترى كثيرا من الصفات الحسنة، مثل: المودة و الإخاء والتناصح .

ولكنك تتعجب من وجود بعض الآفات التي دخلت على قلوب بعض الطلاب فإذا بك تتفاجأ عندما تعلم بدخول آفة الحسد بينهم.

وهذا بلا شك نذير خطر وباب شر لابد من السعي إلى إزالته.

وقديماً قيل: " ما خلا جسد من حسد ولكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه ".

وكلنا يعلم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) [مسلم: ٢٨١٢].

وهذا الحديث يبين أن الشيطان حريص على إفساد القلوب وتعبئتها بالحسد والغل والحقد وهذا ليس بغريب على الشيطان الذي هو العدو لجميع البشر ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا))[فاطر:٦].

و لم يسلم من داء الحسد إلا القليل من الناس والتاريخ مليء بالحساد، حتى ظهر الحسد على العلماء والصالحين فهذا ابن تيميه حسده بعض علماء عصره حتى كان السجن مصيره وهذا ابن قدامه حسده بعض العلماء حتى أفتوا بتكفيره وحبسه والأمثلة من حياة العلماء كثيرة .

وإليك أيها المتعلم بعضا من صور الحسد الموجودة بين بعض الطلاب:

- الحسد لبعض المتميزين بالصوت الحسن والتلاوة الجيدة.
- الحسد على المتميزين في حفظ المتون.
- الحسد على بعض الطلاب الذين لهم مكانة عند بعض العلماء.
- الحسد على بعض الطلاب الأذكياء.
- الحسد على من يشتهر من الطلاب عند المسؤلين والكبار.
- الحسد على من عنده حب للقراءة واستثمار الوقت.

والأمثلة كثيرة لا تحصى.

فالواجب على طالب العلم الصادق أن يجاهد نفسه على تطهير قلبه من الحسد والحقد والبغضاء، وهذا الأمر يتم بأمور منها:

١. العلم واليقين باطلاع الله تعالى على ما يدور في قلبك.
٢. مجاهدة النفس على ترك الحسد ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا))[العنكبوت:٦٩].
٣. أكثر من الدعاء للشخص الذي تحسده.

٤. أكثر من الثناء عليه في المجالس لكي تزيل كل دوافع الشيطان التي يدخل من خلالها إلى الحسد.
٥. ادع ربك أن يطهر قلبك ويصلح سريرتك من هذه الآفات .

الفوضى في طلب العلم

سؤال يتكرر دائماً لدى طلاب العلم يا شيخ كيف أطلب العلم ؟.

فيجيب الشيخ : تبدأ بـــكذا وكذا .

بدأ الطالب بتنفيذ ما قاله الشيخ ولكن أيام ويغير الطالب المنهج ويسلك طريقة أخرى غير تلك التي رسمها الشيخ.

لماذا أيها الطالب اليوم في كتاب وغدا تتركه ، وتبدأ في متن ولحظات وتتركه وتذهب إلى متن آخر اليوم عنـــد أحـــد المشايخ وغدا عند غيره مرة تبدأ في درس وبعد أيام تتركه .

وهكذا تتكرر صور الفوضى عند طلاب العلم وأنا لا أتعجب من وجودها ولكن أتعجب ممن يتجاوزهـــا ويبـــدأ في الطلب المبني على منهج واضح وطريق مستقيم ، ولست الآن في بيان كيفية طلب العلم؛ لأن الكلام عن ذلـــك قـــد أشبعه العلماء والمتخصصين والمربين ولكنها إشارة إلى ضرورة تربية الشباب على المنهج الصحيح في الطلب .

أيها المربون والدعاة لا يكفي أن تتكلموا عن طلب العلم وفضله وتحميس الشباب له صحيح أن هذا مهم ولكن نريـــد رسم المنهج والطريقة للشباب التي تناسبهم لكي يطلبوا العلم .

لا تدخل هذا الباب

قال سحنون: (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً). السير (١٢/٦٦).

إنه كلما زاد نصيب الإنسان من العلم يجب أن يزداد خوفه من ربه ، ومن دلائل الخوف من الله تعالى (الخوف من الإفتاء) .

ولهذا كان من هدي السلف عدم الجرأة على الفتوى بل كانوا يتدافعونها وما من شخص يُسأل إلا وتمنى أن أخاه كفاه وماذلك إلا من علمهم بالله ، والوجل من التكلم في الشرع لأنك بكلامك في الشرع موقع عن رب العالمين وبالعكس من ذلك ، فكلما كان الإنسان جريئاً على الفتوى فإن ذلك دليل على جهله وللأسف نجد أن بعض طلاب العلم المبتدئين يقف ويتكلم ويناظر بل ويخطئ كبار أهل العلم وما هكذا تورد يا سعد الإبل .

فيا طلاب العلم الله الله في الورع في الفتوى و لابد أن نتأنى ونتعلم قبل أن ندخل باب (الفتوى) .

وقفات في طلب العلم

قال الإمام أحمد: ماصليتُ غير الفرض، استأثرتُ بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي.

قلتُ: ولذلك قصة: فقد قدم أبو زرعة عند الإمام أحمد، فكانا يتذاكران الحديث، فقال أحمد: ماصليتُ غير الفرض.
ويُستفاد من هذا: تقديم الأصلح من الأعمال على قاعدة (إذا تعارضت مصلحتان قُدِّم الأعلى منهما) فقدم الإمام أحمد مذاكرة العلم مع قرينه أبي زرعة على النوافل ، وفي هذا إشارة لفضل العلم على النافلة ، فتأمل.

– قال عمر الناقد: لما قدم سليمان الشاذكوني بغداد ، قال لي أحمد بن حنبل : اذهب بنا إلى سليمان نتعلم منه نقد الرجال.

قلتُ: وفي هذا بيان أن النقد (علم) له أصوله وضوابطه، وشروطه، وموانعه، فليس كل شخص ينقد، بل للنقد أهل يعرفون من ينقدون، ولماذا ينقدون، وكيف ينقدون، إلى غير ذلك من مسائل النقد، ولذلك ينبغي على طالب العلم أن يحذر التجرؤ على نقد العلماء أو غيرهم بغير علم ، وبغير معرفة لما يتطلبه النقد، وينبغي على العالم أن يبحث عمن يعلمه النقد إن لم يعلم، فهذا الإمام أحمد مع جلالته، يطلب العلم – أي التعرف على كيفية النقد – من سليمان.

– لما صنَّف أبو عبيد القاسم بن سلام (غريب الحديث) عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه. وقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر.
قلت: وهكذا يكون التقدير للعالم، تفريغه للعلم والتصنيف ونفع الناس وتشجيعه على ذلك، ولكن نحن في هذا الزمن نسينا حق العالم والمتعلم الذكي، فلا تشجيع، ولا تقدير، حتى نُسي العالم، وضاع قدره، فينبغي الإشادة بالنابغين من طلبة العلم لكي يشعر الواحد منهم بقدره وأن الأمة بحاجة إليه ، وكذلك العالم البحر، لا يُهضم حقه، ويُنسى فضله، بل يجب الإشاعة بذكرة ومدحه بلا غلو، ليعرف الناسُ قدره.

– قال البُخاري: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: إنما الناس بشيوخهم، فإذا ذهب الشيوخ تودع من العيش.
قلتُ: رحم الله السلف، فقد كانوا يعظمون علمائهم وشيوخهم ويعرفون لهم قدرهم، لأنهم صمام أمان لهذه الأمة من البدع والمنكرات وما يخالف الدين ، وكلما نقص منهم واحداً كلما دخل في الدين من البدع والخرافات ما لا يعلمه

إلا الله، فالعلماء نور يهتدي به الناس ، وإذا ذهب النور، تاه الناس ، ويالله ، كم رأينا وسمعنا ممن نسي أو تناسى فضل العلماء ، وكم رأينا من يقدح فيهم ، ويتهمهم بسائر التهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا الإمام أحمد يقول: فإذا ذهب الشيوخ ، تودع من العيش ، فكأن الحياة لا تطيب إلا بوجوده م، فاللهم ارحم موتاهم، واحفظ أحيائهم، وارزقنا الأدب معهم على الوجه الذي يرضيك.

- ذُكر للإمام أحمد أن رجلاً يشتم أصحاب الحديث ويقول: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام الإمام أحمد، وهو يقول: زنديق زنديق، ونفض ثوبه.

قلت: إذا كانت الغيبة حرام، فما ظنكم بغيبة العالم وشتمه .

إن القدح في العالم لا يتناول شخصه، بل يتعدى ذلك للعلم الذي يعلمه ويُعلمه للناس، ولا يقدح فيهم إلا (زنديق) كما قاله الإمام أحمد، وإذا انتُقص العالم وأهين، فمن يثق الناس به، وإذا زالت ثقتهم بالعالم فعمّن يتلقون الدين ؟

- قال إسحاق الأزرق: ما أدركت أفضل من خالد الطحان، فقيل له: قد رأيت سفيان ؟ قال: كان سفيان رجل نفسه، وخالد رجل عامة.

قلت: وهنا يظهر الفرق بين العالم المنعزل عن الناس وعن أسئلتهم وهمومهم، وبين العالم الذي يخالط الناس ويساعد ضعيفهم، ويزور مريضهم، ويخاطب عامتهم، ويُفتي لسائلهم، وهو مع الناس في أي مكان ويقصد بذلك رضا الله وحده، فالأول همه نفسه، والثاني مقتدٍ بنبيه عليه الصلاة والسلام، ولا شك في أنه أفضل، وفي الحديث الصحيح: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم).

- جاء رجل للإمام أحمد وقال له: يا أبا عبد الله انظر في الأحاديث فإن فيها خطأ، فقال أحمد: عليك بأبي زكريا فإنه يعرف الخطأ.

قلت: في هذا الأثر جُملٌ من الفوائد:

١) حرص طلبة العلم على تصفية السنة من الخطأ والنقد، سواءً كان ذلك الخطأ في السند أو في المتن.

٢) أن طالب العلم يسأل العالم المتخصص البارع في الفن الذي يريد السؤال عنه، فهذا السائل جاء للإمام أحمد ليبصره بالخطأ و لم يسئل أي أحد.

٣) أن العالم المتبحر في العلوم قد يجهل بعض الفنون في العلم، وهذا ليس بغريب لأن العلم واسع، فهذا الإمام أحمد مع شدة عنايته بالسنة لم يجب على السائل بل أحاله إلى أبي زكريا.

٤) أن العالم إن لم يعرف جواب المسألة، فلا يقل: لا أدري، ويسكت، بل يحيل السائل إلى من يستطيع إجابته.

٥) اعتراف العالم بعلم العالم الآخر، وهذا من صدق التقوى في العلم، ولا يعترف بالفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

فائدة: أبو زكريا المذكور هو (يحيى بن معين) وكان الإمام أحمد يكنيه تبجيلاً له وتكريماً.

- مجد الدين بن تيمية سُئل عن مسألة، فقال: الجواب عنها من ستين وجهاً: الأول، والثاني، وعدها كلها.

قلت: وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على قوة الحافظة، وسرعة الاستحضار، وهاتان الصفتان من المنن الربانية، وياليتنا نسمع من يستحضر في المسائل قولان بالأدلة، في زمننا هذا، رحم الله السلف وألهم الخلف.

- قال أبو إسحاق الشيرازي: العلم الذي لا ينتفع به صاحبه، أن يكون الرجل عالماً ولا يكون عاملاً.

- قال أبو محمد التميمي: يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا، فلا تترحموا علينا.

قلت: فمن حق العلماء الترحم عليهم بعد موتهم، فالتزم ذلك ياطالب العلم.

- قال أبو إسحاق الشيرازي: كنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يُستشهد به حفظت القصيدة التي فيها البيت.

قلت: وذلك من علو الهمة في الطلب، وبالتكرار يثبت العلم.

- كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه.

قلت: فهذه أوقاتهم، علم، حتى في الطريق، لئلا يفوت الزمان، فأين هذا ممن أضاع أيامه في اللهو، ويزعم أنه طالب علم.

- قال بشر بن الحارث: أدّوا زكاة الحديث، اعملوا من كل مائتين حديث بخمسة أحاديث.

قلت: وهذا يبين لنا أن زكاة العلم تكون بالعمل به، ولا ننسى أيضاً أن من زكاة العلم تبليغه للناس، ومن بخل بعلمه و لم يعلمه للناس ابتلي بثلاث كما قال سفيان: (١) ينساه ولا يحفظه. (٢) يموت ولا ينتفع به (٣) أو تذهب كتبه.

- قال أبو نعيم: ضمنتُ لك أن كل من لا يرجع إلى كتاب لا يؤمن عليه الزلل.

قلت: ولذلك ينبغي للعالم مُراجعة الكتاب والنظر فيه، والتثبت من العلم ليرسخ ويثبت، ولأن العلم يُنسى، وبالنظر للكتاب يثبت العلم.

- قال الخطيب البغدادي: يجب على المحدث الرجوع عما رواه إذا تبين أنه أخطأ فيه، فإذا لم يفعل كان آثماً.

قلت: وقليل من يكون عنده خُلُق الرجوع عن الخطأ، وذلك لأن النفس تحب الظهور، والاعتراف بالخطأ والرجوع عنه ثقيل على النفس التي تحب الظهور، ولكن من كان علمه لله سهل عليه الرجوع، ووالله إن الرجوع عن الخطأ يرفع العبد و لا يضعه.

- قال أبو نظرة: كان الصحابة إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرأوا سورة.

قلت: فهذا هديهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فينبغي لنا أن نقتدي بهم، فتكون مجالسنا مجالس علم وفائدة.

- قال ابن مهدي: لا يكون إماماً من يحدث عن كل أحد.

قلت: فينبغي انتقاء المتحدث الذي يؤخذ منه الحديث، فليس كل متحدث صادق في حديثه.

طالب العلم والدعوة

يسأل بعض طلاب العلم ويقول : (كيف أجمع بين العلم والدعوة) ؟

والجواب المختصر لهذه المسألة يمكن تلخيصه فيما يلي:

ليس هناك أي تعارض في هذه المسألة، وإن ظن بعض المبتدئين في طلب العلم أن هناك تعارض فهذا غير صحيح.

إن الذي ينظر لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لا يجد أن هذا الإشكال كان موجوداً أو أن هذا السؤال كان مطروحاً.

ومن المؤكد أنه لابد أن يكون العلم قبل الدعوة، بمعنى أن لا تدعو إلى شيء إلا وأنت تعلمه، ولهذا قال البخاري في صحيحه: (باب العلم قبل القول والعمل) وهذا تأكيد منه رحمه الله تعالى إلى ضرورة العناية بالعلم قبل أن تعمل بأي عمل.

مثال: لا تأمر الناس بشيء من الخير إلا وأنت تعلم أن الله شرعه وحث عليه أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وحث عليه.

ولكن مما يجب أن نعلمه أنه لا يشترط في الداعية أن يحيط بجميع المسائل الفقهية ولا ببعضها، إنما يشترط أن يتكلم في المسألة التي عنده بعلم صحيح وبينة واضحة.

مهمات :

* عندما تجلس في مجلس فيه عامة الناس وتتكلم بالنصيحة لهم فتكلم بما تعلم ولا تفتي في المسائل التي لا تعلمها.

* تذكر أن الناس يحتاجون إلى أبسط المسائل فاحرص على أن تضبطها وتكثر من مراجعة العلم.

* عليك بطلب العلم النافع فهو الذي يبصرك في طريق الدعوة، ولهذا قال سفيان رحمه الله تعالى: أحوج الناس إلى العلم أعلمهم بأن الخطأ منه أقبح. وهو يقصد رحمه الله العلماء والدعاة؛ لأن الخطأ منهم ليس كالخطأ من غيرهم، والجهل منهم ليس كالجهل من غيرهم.

* يجب على طالب العلم أن يحترم الدعاة ولا يقلل من شأنهم لأنهم على ثغر عظيم في تبليغ الدين وتعليم الناس .

طالب العلم والمال

إن من أعظم الضروريات لطالب العلم تحصيل المال؛ وذلك لأن طالب العلم يحتاج إلى شراء الكتب وإلى الرحلة إلى العلماء وإلى المدن لتلقي العلم وزيارة معارض الكتاب.. وغير ذلك من الأمور التي يحتاجها الطالب في هذا الزمن.

ومن هنا أكد السلف رضي الله عنهم لطالب العلم أن يعتني بالبحث عن الرزق الحلال الذي يغنيه عن الناس ويجعله متعففاً عن سؤال الناس.

قال عمر رضي الله عنه : « أيها الناس أصلحوا معايشكم فإن فيها صلاحا لكم وصلة لغيركم .

وعن قيس بن عاصم المنقري ، أنه قال لبنيه : « إياكم والمسألة ؛ فإنها آخر كسب المرء ، إن امرأ لم يسأل الناس إلا تركه كسبه ، وعليكم بالمال فاستصلحوه ؛ فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم » .

وهذا سعيد بن المسيب يقول : « لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي منه حقه .

قال الحسن : « ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها ، ترك الحاجة يسدها عند تركها » .

قال سفيان الثوري ، يقول : « المال في هذا الزمان سلاح المؤمن »

والله إن المرء ليحزن عندما يرى بعض طلاب العلم المحتاجين إلى المال وهو لا يملك أن يقدم لهم شيئاً.

فالوصية إلى أحبتي (طلبة العلم): جاهدوا أنفسكم على البحث عن الرزق وأيقنوا بأن الله هو الرزاق ولنبذل السبب، وسيأتي الفرج بإذن الله، والقاعدة تقول: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا))[الطلاق:٢].

وهنا إشارات:

١- لابد للعلماء أن يعتنوا بالطلاب البارزين ويهيئوا لهم المال، وهكذا كان العلماء.

٢- لابد للتجار أن يسعوا في تأمين مايحتاجه الطلاب من الكتب والسكن وغير ذلك من ضروريات الحياة .

الفهرس

المقدمة ١
طالب العلم و مكتبته ٢
طالب العلم والمشاريع العلمية ٦
طالب العلم وطلب الرئاسة ٨
الشيخ بين التدريس والتصنيف ٩
طالب العلم بين الأخذ والعطاء ١٠
في واقعنا تعصب للأشياخ ١١
الانتقاء في العلم ١٣
كيف تكتب الفوائد العلمية ١٤
نشر علم العلماء ١٧
طالب العلم بين النت والكتاب ١٨
مفهوم رعاية الوقت ١٩
طالب العلم وفقه النصوص ٢٠
عند الفتن من هو شيخك ٢١
التأليف والعبادة " البخاري نموذجاً " ٢٢
طالب العلم والإنترنت ٢٣
٤٠ نداء لطالب التحفيظ ٢٤
طالب العلم والوقت ٢٦
طالب العلم والوقت ٢٨
بين الثقافة والتأصيل العلمي ٢٩
طالب العلم والوقت ٣٠
على قمة الجبل سترتاح ٣٢
هل رأيت هذا الطالب ٣٣
العناية بفقه المناسبات ٣٤

من مواقف السلف في الحذر من الفتوى ٣٥
عتاب للمشايخ فقط ٣٧
طالب العلم وعلاقته بزوجته ٣٩
طالب العلم وثقافة الواقع ٤١
هيبة العلماء لا تمنعك سؤالهم ٤٢
طالب العلم وضبط القواعد ٤٣
يا طالب العلم.. أين الهمة العالية ٤٤
طالب العلم وبر الوالدين ٤٥
طالب العلم والزواج ٤٦
طالب العلم والإخلاص ٤٧
الممرضة يا أيها الطلاب ٤٩
خواطر حول الكتاب ٥١
التقوى يا طالب العلم ٥٣
أدب السؤال ٥٤
الصبر يا طالب العلم ٥٦
مراجعة العلم ٥٨
طالب العلم واللسان ٥٩
تعلق بالعلم لا بالعالم ٦٠
طالب العلم والقرآن ٦١
طالب العلم والحسد ٦٢
الفوضى في طلب العلم ٦٤
لا تدخل هذا الباب ٦٥
وقفات في طلب العلم ٦٦
طالب العلم والدعوة ٧٠
طالب العلم والمال ٧١